

الفصل الأول

التعريف بالحضارة الإسلامية

أولاً : الحضارة الإسلامية

- الحضارة الإسلامية تشمل أنواع التقدم والرفي الإنساني في مختلف المجالات التي تخدم أسباب العيش ووسائل الرفاهية.
- تشمل الحضارة الإسلامية:
 - التقدم الديني أو الروحي.
 - التقدم السياسي، الإداري، والقضائي.
 - التقدم الحربي والاجتماعي والعمراني.
 - التقدم العلمي في الفنون، العلوم، والآداب.
 - التقدم الزراعي، الصناعي، والتجاري.
 - التقدم الصحي.
 - تحقيق التعاون، الإخاء، والطمأنينة.
- تهدف الحضارة الإسلامية إلى نشر الفضائل بين أفراد المجتمع وضمان السعادة في الدنيا والآخرة تحت سيادة النظام والعدل.
- بعض التعريفات الأخرى للحضارة:
 - كل ما أبدعه العقل الإنساني في مجال الفكر والمعرفة والحياة المادية.
 - جملة مظاهر الرقي العلمي، الفني، الأدبي، والاجتماعي التي تنتقل من جيل إلى جيل.
 - التعبير عن الوسائل، المخترعات، والابتكارات الصناعية والمادية.
- الحضارة الإسلامية تشمل:
 - المظاهر المادية الحسية (مثل المخترعات المدنية).
 - الجوانب المعنوية (مثل الجانب الروحي، الديني، المعرفة، الفكر، العلم، الأخلاق، الذوق، المشاعر، والإحساس).

ثانياً : مصادر الحضارة الإسلامية

1. القرآن الكريم وأهميته:

- أول كلمة نزلت في القرآن هي "اقرأ"، التي تحث على القراءة والتعلم والمعرفة.
- المسلمون الأوائل، وخاصة الصحابة، اهتموا بحفظ القرآن وأحاديث النبي ﷺ.
- القرآن الكريم هو كتاب الله المنزل لفظاً ومعنى على الرسول ﷺ على مدى 23 عاماً.
- القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي والدراسة الحضارية والتاريخية.
- يحتوي القرآن على أخبار العرب في الجاهلية وقصص الشعوب السابقة، مثل عاد وثمود وسيل العرم (سد مأرب).
- تناول القرآن أخبار سيدنا إبراهيم وإسماعيل وبناء الكعبة.

2. القرآن كمصدر للتاريخ والحضارة:

- القرآن الكريم يعتبر مرجعاً أساسياً للمادة التاريخية والدراسات الحضارية.
- نص القرآن على أهمية الاقتداء بسيرة النبي ﷺ، ورسالة الإسلام الشاملة للبشرية.
- أوضح تطور الدعوة الإسلامية وجهود النبي ﷺ في نشر الإسلام وتأسيس الدولة الإسلامية.

3. مجالات التشريعات في القرآن الكريم:

- دينياً: شرع الله الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، وحث على التوبة.
- المعاملات:
 - تنظيم البيع والشراء وكتابة العقود.
 - النهي عن الربا وأكل أموال الناس بالباطل.

- حث على العدل والإحسان وأداء الشهادات.
- **اجتماعيًا:**
 - وضع آداب الزيارة وأخلاقها.
 - حث على الصدق، العفو، الصبر، وإكرام الجار.
 - نهى عن الفتنة والنميمة والتجسس والسخرية.
 - أكد على المساواة بين الناس إلا بالتقوى والعمل الصالح.
- **اقتصاديًا وماليًا:**
 - النهي عن الإسراف والتبذير والتقتير.
 - فرض الزكاة لمعالجة الفقر.
 - تنظيم الميراث والغنائم والفبيء.
- **العلم:**
 - حث القرآن على العلم والتفكر والتدبر في ملكوت السماوات والأرض.
- **الحرب والسياسة:**
 - تنظيم آداب الحرب والعفو عند المقدرة.
 - مشروعية الجهاد والدفاع عن النفس.
 - الوفاء بالعهود والمواثيق.

4. القرآن والأسرة:

- تنظيم حياة الأسرة:
 - تحديد حقوق الزوجين وواجباتهما تجاه بعضهما.
 - حقوق الأبناء على الوالدين والعكس.
 - معالجة الخلافات الزوجية والطلاق عند الضرورة.
 - حفظ حقوق المرأة و صداقها.

5. كتابة القرآن الكريم:

- النبي ﷺ استعان بعدد من الكتاب لكتابة آيات القرآن الكريم، مثل:
 - زيد بن ثابت، معاوية بن أبي سفيان، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، وأبي بن كعب.
- تدوين النظم والمعاملات والقبائل وأموال الصدقات كان جزءًا من عملهم.

-
- **عناية الأمة الإسلامية بالحديث النبوي الشريف:**

الأمة الإسلامية اهتمت برواية وحفظ ودراسة الحديث النبوي الشريف للحفاظ على المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم.

● تعريف الحديث:

- **لغةً:** الجديد، أو ما يُنقل ويُحدث به.
- **اصطلاحًا:** ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية (بفتح الخاء) أو خلقية (بضم الخاء) أو سيرة، سواء قيل البعثة أو بعدها.
- **تعريف السنة:**
 - تشمل كل ما أثر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير أو صفات خلقية وخلقية وسيرة، سواء قيل البعثة أو بعدها.
 - السنة مرادفة للحديث النبوي.

• أنواع الحديث والسنة:

- **القول:** مثل أحاديث النبي ﷺ التي ترتبت عليها أحكام شرعية، كقوله: "لا وصية لوارث".
- **الفعل:** مثل أداء النبي ﷺ للصلوات الخمس ومناسك الحج.
- **التقرير:**
- إقرار النبي ﷺ لأفعال الصحابة، مثل قصة الرجلين الذين صليا بالتيمة، فقال لأحدهما: "أصببت السنة"، وللآخر: "لك الأجر مرتين".
- إقرار النبي ﷺ لطريقة معاذ بن جبل في القضاء، عندما قال معاذ: "أجتهد رأيي"، فقال له النبي: "الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضى رسول الله".

• الفرق بين الحديث والسنة:

- الحديث يشير إلى أقوال الرسول.
- السنة تشمل أفعال النبي وأعماله.

• مكانة السنة النبوية:

- تعتبر المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم.
- تُبين وتفصل أحكام القرآن وتطبق الإسلام عملياً.
- ظلت مرجعاً للأحكام ومعيناً للأدب والأخلاق منذ زمن النبي ﷺ وحتى اليوم.

• أثر التمسك بالسنة:

- كان التمسك بالسنة النبوية سر نجاح الأمة الإسلامية وتقدمها.
- تصديقاً لقوله ﷺ: "تركتم فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتي".
- دور السنة في الحضارة الإسلامية:

- مصدر للتشريع بجانب القرآن.
- تقدم نظاماً وعلومًا وأدبًا وعبادات.
- تُغطي مجالات دينية، اقتصادية، سياسية، حربية، اجتماعية، وإدارية، مما ساهم في بناء الحضارة الإسلامية.

ثالثاً - المصادر المكتوبة

• المصادر المكتوبة للحضارة الإسلامية:

تعد المصادر المكتوبة من الأساسيات لدراسة التاريخ والحضارة الإسلامية، وتشمل:

1. الوثائق والمعاهدات والاتفاقات وأوراق البردي

- تُعد من الأصول الأولى لدراسة التاريخ الإداري، الاقتصادي، والاجتماعي في الدولة الإسلامية.
- تتميز بقلّة ونُدرة وجودها.

2. المصادر والمراجع العلمية

• مجالات الكتابة الإسلامية:

- التفسير، الفقه، اللغة، التصوف.
- العلوم مثل الكيمياء والطب.
- التاريخ والجغرافيا.

- تأسيس علم الاجتماع.
- تُعين الباحثين في دراسة التاريخ والحضارة الإسلامية.

3. كتب السير والتراجم

- تُعد مصادر أصلية تُفيد الباحثين في دراسة الحضارة الإسلامية والنظم المختلفة (السياسية، الإدارية، الاقتصادية، الثقافية، الحربية).
- أهم الكتب:
 - الطبقات الكبرى لابن سعد.
 - وفيات الأعيان لابن خلكان.
 - الخطط المقرزية للمقرزي.
 - النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة لابن تغري بردي.
 - حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي.

4. المعاجم الجغرافية وكتب تقاويم البلدان

- تُعد مصادر أساسية لدراسة البلدان والمناطق وتحتوي على معلومات حضارية مهمة من النواحي العلمية، الأدبية، الاقتصادية، والاجتماعية.
- أهم الكتب:
 - فتوح البلدان للبلاذري.
 - معجم البلدان لياقوت الحموي.
 - تقويم البلدان لأبي الفداء.
 - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي.

5. كتب الرحالة والرحلات

- تُعد من المصادر المهمة لدراسة الحياة الاجتماعية للشعوب والأمم، وتشمل معلومات عن:
 - العادات والتقاليد.
 - الأخلاق.
 - الأحوال الثقافية، الاقتصادية، والسياسية.
- أهم الكتب:
 - مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي.
 - رحلة ابن جبير.
 - رحلة ابن بطوطة.
 - سفرنامه لناصر خسرو علوي.

رابعاً - المصادر الأثرية:

- المصادر الأثرية للحضارة الإسلامية:

1. أهم أنواع المصادر الأثرية:

- المباني والمرافق: المساجد، المدن، الأسوار، المدارس، المكتبات، الأربطة، الزوايا.
- المرافق التجارية: الخانات، القيساريات.
- التحصينات: الحصون، القلاع، الأبراج.

- الآثار المادية: العملة (السكة أو النقود)، الأسلحة، الطراز.
 - المقتنيات المتحفية: كل ما تحويه المتاحف من مصادر أثرية.
- 2. أهمية المصادر الأثرية:

- انتشار الآثار الإسلامية:
 - توجد آثار إسلامية قيمة من الصين شرقاً وحتى بلاد الأندلس غرباً.
 - تعكس سمو وارتقاء الحضارة الإسلامية.
- الدور العلمي والعمراني والاجتماعي:
 - المساجد، المدارس، المكتبات، الأربطة، والزوايا: تُفيد في النواحي العلمية.
 - المدن، الأسوار، القلاع، الحصون، الأبراج: تُفيد في النواحي العمرانية والاجتماعية والحربية.
 - القيساريات، الخانات، العملة: تُفيد في النواحي الاقتصادية.
 - الطراز: يُفيد في النواحي الاجتماعية.

الفصل الثاني

النظام السياسي

أولاً: الخلافة:

- الخلافة في الإسلام: التعريف والأهمية

1. المقصود بالخلافة:

- تعريفها:
 - نظام سياسي أعلى في الدولة الإسلامية، ويُطلق عليه أيضاً الإمامة.
 - كما يقول الماوردي: "الإمامة موضوع لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا".
 - ابن خلدون يصفها بأنها "حمل الناس على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية".
- وظيفتها:
 - تمثل القيادة العامة للدين والدنيا نيابة عن الرسول ﷺ.
 - الخليفة هو الحاكم الزمني للدولة الإسلامية والزعيم الروحي للأمة.
- أنواعها:
 - اختيارية: يتم اختيار الخليفة عبر بيعة الأمة.
 - قهرية: يصل الخليفة للحكم بالقوة والغلبة، وتُقر بشرعية حكمه.

2. شروط الخليفة:

- صفات أساسية:
 - العدالة والاستقامة.
 - العلم والاجتهاد في الأحكام.
 - الكفاءة والقدرة على إدارة شؤون الدولة.
 - سلامة الحواس والأعضاء.
 - الرأي السديد.
 - الشجاعة لحماية البلاد.
- النسب القرشي:

- اختلف الفقهاء حول شرط النسب، إذ اشترطه أهل السنة والجماعة والشيعة، بينما أجازوه الخوارج لأي مسلم.

3. واجبات الخليفة:

- حفظ الدين ورعاية أصوله.
- تنفيذ الأحكام لتحقيق العدل.
- حماية البلاد والثغور.
- إقامة حدود الله.
- جهاد الأعداء.
- إدارة بيت المال وتقدير المصاريف.
- تعيين الولاة والعمال.

4. ألقاب الخليفة:

- أمير المؤمنين: أطلقه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- الإمام: مرتبط بالإمامة في الصلاة، وأضيف إليه المعنى السياسي.

أحمد كرم

5. التطور التاريخي للخلافة:

- عهد الخلفاء الراشدين (11-41 هـ / 632-661م):
 - الخلافة كانت شورية وانتخابية.
 - السلطة مقيدة بالشريعة ورضاء الأمة.
- العصر الأموي (41-132 هـ / 661-750م):
 - أصبحت الخلافة وراثية منذ معاوية بن أبي سفيان.
 - ظهرت مظاهر الأبهة والسلطان.
- العصر العباسي الأول (132-656 هـ / 749-1258م):
 - انتقال الحكم من الأمويين إلى العباسيين.
 - اعتقاد العباسيين بأحقية الخلافة شرعياً.
 - تأثر الخلفاء العباسيون بفكرة الملك المقدس، حيث اعتبروا حكمهم تفويضاً إلهياً وليس اختياراً شعبياً.

ثانياً: ولاية العهد:

ولاية العهد في الإسلام: تطورها وتأثيرها

1. ولاية العهد في عهد الأمويين

- أول من أوجد نظام ولاية العهد في الدولة الإسلامية كان الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (41 - 60 هـ / 661 - 679م).
- قام معاوية بأخذ موافقة كبار رجال الدولة والجند لمبايعة ابنه يزيد بن معاوية كولي للعهد.

- كانت هذه الخطوة بداية تحول الخلافة من الشورى إلى نظام وراثي.

2. ولاية العهد في العصر العباسي

- بنو العباس اتبعوا نهج الأمويين، ولكنهم زادوا تعقيد الأمور بجعل ولاية العهد لأكثر من شخص (أبناء أو إخوة).
- أبرز الأمثلة على ذلك:
 - الخليفة أبو العباس السفاح (132 - 136 هـ) عهد بالخلافة إلى أخيه أبي جعفر المنصور ثم إلى ابن أخيه عيسى بن موسى.
 - عندما تولى المنصور (136 - 158 هـ)، خلع عيسى من ولاية العهد وعين ابنه المهدي مكانه.
 - المهدي (158 - 169 هـ) قام أيضاً بخلع عيسى وعين ولديه الهادي ثم هارون الرشيد.

3. الصراعات والفتن بسبب ولاية العهد

- هارون الرشيد (170 - 193 هـ) قسم الخلافة بين أولاده الثلاثة:
 - الأمين، المأمون، والمؤمن.
 - هذا التقسيم أدى إلى حرب أهلية بين الأمين والمأمون، وانتهت بمقتل الأمين عام 198 هـ / 813م.
- المتوكل على الله العباسي (232 - 247 هـ):
 - ولى العهد لأبنائه المنتصر والمعتز والمؤيد، مما أدى إلى مقتله سنة 247 هـ على يد ابنه المنتصر.

4. استثناءات من هذا النهج

- الواثق بالله العباسي (227 - 232 هـ):
 - رفض أن يوصي بالخلافة لابنه عند مرضه قائلاً: "لا يراني الله أتقلدها حياً وميتاً"، مقتدياً بالخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي اعتمد نظام الشورى.

5. الآثار السلبية لنظام ولاية العهد

- إثارة الكراهية بين الأبناء:
 - كما حدث بين الأمين والمأمون.
- المنافسة بين أفراد البيت الحاكم:
 - أدت إلى مقتل بعض الخلفاء مثل المتوكل على الله.
- ضعف الدولة نتيجة للصراعات الداخلية والحروب الأهلية.

الخلاصة

نظام ولاية العهد، رغم أنه كان يهدف إلى استقرار الحكم، إلا أنه جلب الفتن والانقسامات داخل الأسرة الحاكمة وأدى إلى إضعاف الدولة الإسلامية سياسيًا واجتماعيًا.

ثالثاً: الوزارة:

أعذر عن ذلك، إليك التلخيص مع الأرقام والتواريخ:

1. المقصود بالوزارة:

- الوزارة هي نظام سياسي هام في الإسلام.
 - ورد لفظ "الوزير" في القرآن على لسان سيدنا موسى عليه السلام في قوله: "واجعل لي وزيراً من أهلي" (سورة القصص: 34).
 - ذكر أبو بكر الصديق في حديث سقيفة بني ساعدة "نحن الأمراء وأنتم الوزراء".
 - كلمة "الوزارة" مشتقة من ثلاث معاني:
 - الوزر (الثقل) لأنه يحمل أعباء الحاكم.
 - الوزر (الملجأ) حيث يلجأ الحاكم إلى الوزير.
 - الأزر (الظهر) لأن الوزير يقوي الحاكم.
 - الوزير يعاون الخليفة أو الإمام في إدارة شؤون الدولة ويكون الوسيط بينه وبين الرعية.
 - يشترط في الوزير الكفاءة، الأمانة، الحذر، وفطنة في تدبير الأمور.
2. التطور التاريخي للوزارة:

- في عهد النبوة والخلفاء الراشدين:
 - ظهرت الوزارة في الإسلام حيث كان النبي وأبو بكر وعمر بن الخطاب يعينون مستشارين، رغم أن اسم "الوزير" لم يكن موجوداً في ذلك الوقت.
 - نظام الحكم كان يعتمد على الشورى وكان الخليفة يستعين بمجلس من الشيوخ.
- في عهد بني أمية (41 هـ - 132 هـ / 661م - 749م):
 - بعد انتقال الخلافة إلى بني أمية، أصبح الخلفاء يختارون مستشارين ولكن لم يُطلق عليهم لقب "وزير".
 - زياد بن أبيه (توفي 53 هـ / 675م) في عهد معاوية بن أبي سفيان (41 هـ - 60 هـ / 661م - 679م) كان أول من لُقّب بالوزير.
 - روح بن زنباع الجذامي في عهد عبد الملك بن مروان (65 هـ - 86 هـ / 684م - 705م).
- في العهد العباسي (132 هـ - 656 هـ / 749م - 1258م):
 - تم تحديد معالم الوزارة في الدولة العباسية وأُرسيت قواعدها.
 - كانت الوزارة تنقسم إلى نوعين:
 1. وزارة تنفيذ: حيث يتم تنفيذ أوامر الخليفة دون تصرف الوزير.
 2. وزارة تفويض: حيث يُمنح الوزير حرية تصرف شؤون الدولة.
 - أشهر الوزراء في هذه الفترة: أسرة البرامكة في عهد هارون الرشيد (170 هـ - 193 هـ / 786م - 809م)، الفضل بن الربيع، والفضل بن سهل في عهد المأمون (198 هـ - 218 هـ / 813م - 833م).
 - أول وزير عباسي: حفص بن سليمان أبو سلمة الخلال (132 هـ - 136 هـ / 750م - 753م).
 - برز الوزراء الأعاجم في العصر العباسي الأول مثل البرامكة الذين كانوا جزءاً من سياسة المركزية والإصلاح الإداري.

رابعاً: الحجابة:

1. المقصود بالحاجب:

- الحاجب هو موظف كبير يشبه كبير الأمناء في العصر الحديث، وكان يشغل منصباً سامياً في البلاط.
- كانت مهمة الحاجب هي إدخال الناس على الخليفة مع مراعاة مقامهم وأهمية أعمالهم.

2. الحاجب في العصر الراشدي:

- الخلفاء الراشدون كانوا لا يمنعون أحداً من الدخول عليهم وكانوا يخاطبون الناس بدون حجاب.

3. الحاجب في العصر الأموي:

- الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان هو أول من اتخذ الحجابة، وذلك خوفاً على نفسه ولتخفيف ازدحام الناس على الأبواب.

4. الحاجب في العصر العباسي:

- مع تطور الحضارة الإسلامية في العصر العباسي، ارتفعت مكانة الحاجب حتى أصبح يستشار في أمور الدولة.
- أصبح الحاجب يتفوق في النفوذ على الوزير وكان يلزم أصحاب الدواوين بالرجوع إليه قبل اتخاذ أي قرار.

5. أشهر الحاجب في العصر العباسي:

- الفضل بن الربيع كان من أبرز الحاجب في الدولة العباسية، حيث لعب دوراً كبيراً في نكبة البرامكة في عهد هارون الرشيد وأشعل الفتنة بين الأمين والمأمون.

أحمد كرم

خامساً: الكتابة:

1. الكاتب في العصر الراشدي:

- كان الكاتب من أكبر أعوان الخليفة.
- كان عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم يكتبون القرآن ويحررون الكتب والرسائل التي كان الرسول يرسلها إلى الملوك والأمراء.

2. الكاتب في العصر الأموي:

- عندما انتقلت الخلافة إلى بني أمية، تعدد الكتاب لتعدد مصالح الدولة.
- كان الخلفاء يولون كتاب المصالح إلى أقربائهم وخاصتهم، وظلوا على ذلك حتى أيام العباسيين.

3. الكاتب في العصر العباسي:

- مع تعدد الدواوين في الدولة العباسية، أصبح من الضروري تعيين كبار الموظفين للإشراف على هذه الدواوين.
- تم تسمية هؤلاء الموظفين بالكتاب، وكانوا يشرفون على دواوين مختلفة مثل: كاتب الجند، كاتب الخراج، كاتب الرسائل أو الإنشاء، كاتب الشرطة، وكاتب القاضي.

الفصل الثالث

النظام الإداري

كان النظام الإداري في دولة الرسول ودولة الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم وفي عهد الدولة الأموية، يقوم علي عدد من الاختصاصات التي تنظم سير العمل في الدولة الإسلامية، ويمكن القول أن الرسول هو أول من وضع اللبنة الأولى لجهاز إداري منظم في الدولة الإسلامية.

أولاً : النظام الإداري في دولة الرسول ﷺ :

1 - هيئة الحكومة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

- كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقوم بمهمة الحكم بجانب تبليغ الرسالة.
- كان يحتاج إلى من يعاونه في إدارة شئون الدولة، لذلك استعان بالصحابه رضوان الله عليهم مثل أبو بكر وعمر.
- كان أبو بكر الصديق يشغل منصب الوزير، وكان النبي يشاوره في أمور الدولة، وكذلك عمر بن الخطاب كان يقوم بنفس الدور.
- أطلق بعض العرب على أبي بكر وعمر "وزير محمد" بسبب معرفتهم بنظم الحكم عند الفرس والروم.

2 - المناصب الإدارية في عهد الرسول ﷺ :

1. صاحب السر:

- كان حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ.
- أيضاً كانت السيدة فاطمة الزهراء عملت أحياناً كاتمة لسر أبيها.

2. صاحب الشرطة:

- كان قيس بن عباد من الأنصار أمير الشرطة، وكان يتولى هذه المهمة بين يدي الرسول ﷺ.

3. حراس الرسول ﷺ :

- كان للنبي ﷺ حراس مثل سعد بن زيد الأنصاري، الزبير بن العوام، سعيد بن أبي وقاص، وغيرهم.

4. حراس المدينة:

- كان هناك حراس للمدينة ليلاً مثل سعد بن أبي وقاص وأوس بن ثابت.

5. المنفذون للحدود:

- كانوا ينفذون أحكام الحدود مثل القتل أو الجلد أو الرجم، ومنهم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام.

6. السجون:

- كان يوجد سجن في المدينة المنورة للرجال والنساء الذين يرتكبون الجرائم التي لا يوجب فيها إقامة الحد.

7. حجاب الرسول ﷺ :

- كان هناك حجاب يقفون على باب الرسول ﷺ مثل أنس بن مالك ورباح الأسود.

8. حاملوا ختم النبي ﷺ :

- كان للنبي خاتم يستخدمه لختم رسائله، وكان حظلة بن الربيع والحارث بن عوف حاملوا الختم.

9. بيت الضيافة:

- كان هناك بيت للضيافة في المدينة المنورة لاستقبال الوفود، وكان بلال بن رباح وثوبان من القائمين على خدمة الضيوف.

10. مراقبة الأسواق:

- كان عمر بن الخطاب يشرف على سوق المدينة، وسعيد بن العاص كان يشرف على سوق مكة بعد فتحها.
- 11. جهاز جمع المعلومات (المخابرات):

- كان للنبي ﷺ جهاز لجمع المعلومات عن الأعداء مثل بسيسة بن عمرو الجهني، طلحة بن عبيد الله، وحذيفة بن اليمان.
- 12. كتاب رسول الله ﷺ:

- كان للنبي أكثر من 40 كاتباً مثل أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان.
- 13. جهاز الأعلام:

- كان شعراء وخطباء مثل حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة يتصدون للرد على مهاجمي النبي ﷺ.
- 14. السفراء:

- أرسل الرسول ﷺ سفراء إلى الملوك والرؤساء مثل حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس، وشجاع بن وهب إلى الحارث بن شمر الغساني.
- 15. عمال النبي ﷺ:

- كان للنبي عمالاً على القبائل والمدن، مثل عتاب بن أسيد الذي ولي مكة.
- 16. مجلس شورى النبي ﷺ:

- كان النبي ﷺ يستشير بعض الصحابة في أمور الدولة، مثل عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان.
- 17. صاحب سلاح النبي ﷺ:

- كان المغيرة بن شعبة وأبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري مسؤولين عن سلاح النبي ﷺ.
- 18. حاملوا رايات النبي ﷺ:

- كان من حاملين رايات النبي ﷺ: علي بن أبي طالب، الزبير بن العوام، وسعد بن عباد.
- 19. خازن دار النبي ﷺ:

- كان هناك خازن مسؤول عن دار النبي ﷺ ونفقته.

التواريخ المهمة:

- صلح الحديبية: سنة 6 هـ / 627م
- غزوة بدر: سنة 2 هـ / 623م
- غزوة الخندق: سنة 5 هـ / 626م
- فتح مكة: سنة 8 هـ / 629م

ثانياً: النظام الإداري في عهد الخلفاء الراشدين:

1. في عهد أبي بكر الصديق (11-13 هـ / 632-634م):

- النظام الإداري في عهد أبي بكر كان امتداداً لما وضعه النبي ﷺ.
- **الكتاب:** كان الفاروق عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وزيد بن ثابت يكتبون لأبي بكر.
- **القضاة:** تولى الفاروق عمر بن الخطاب القضاء.
- **مجلس الشورى:** تألف من الفاروق عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، عبد الرحمن بن عوف، معاذ بن جبل، أبي بن كعب، وزيد بن ثابت.
- **الولاة:** عين العديد من الولاة مثل عتاب بن أسيد على مكة، عثمان بن أبي العاص على الطائف، معاذ بن جبل على الجند، وغيرهم.

2. في عهد عمر بن الخطاب (13-23 هـ / 634-644م):

- **التنظيم الإداري:** اهتم عمر بتوسيع النظام الإداري بسبب اتساع الدولة الإسلامية بعد الفتوحات.
- **الجهاز الحكومي:** استمر عمر في العمل بنفس الجهاز الحكومي في المناطق المفتوحة مع بعض التعديلات. كانت الدواوين تكتب باللغات المحلية مثل الرومية في الشام والفارسية في العراق.
- **التقسيمات الإدارية:** استمر العمل بالنظام الفارسي في العراق، والنظام البيزنطي في الشام، والنظام المصري.
- **تمصير الأمصار:** في سنة 20 هـ / 640م، قام عمر بتقسيم الدولة إلى أمصار لتسهيل الإدارة:
 - العراق: قسمه إلى الكوفة والبصرة.
 - الشام: قسمه إلى دمشق وحمص وفلسطين والأردن.
 - مصر: قسمها إلى مصر العليا والسفلى وإقليم الصحراء.

التنظيم الإداري في عهد أبي بكر كان بداية تأسيس الدولة الإسلامية، بينما في عهد عمر بن الخطاب توسع وتطور النظام بسبب اتساع الدولة.

أحمد كرم

الفصل الرابع

الدواوين في الدولة الإسلامية

أولاً : معنى الديوان:

- الديوان كلمة فارسية تعني سجل أو دفتر.
- أطلقت على المكان الذي تحفظ فيه السجلات الخاصة بالدولة.
- حالياً يُطلق على المكان الذي توجد فيه المصالح الحكومية.

ثانياً: نشأة الدواوين:

- نشأت الدواوين الإسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسبب اتساع الدولة الإسلامية.
- بعد اتصال المسلمين الفاتحين بأهالي البلاد المفتوحة مثل العراق والشام ومصر وفارس، تعلموا النظم الإدارية والمالية الموجودة في تلك البلاد.
- المسلمون استوعبوا الكثير من هذه النظم واحتفظوا بما يتوافق مع مبادئ الدين الإسلامي.
- الخليفة عمر بن الخطاب هو أول من وضع الديوان في الإسلام وأول من فرض العطاء (الراتب) في الإسلام.

● سبب تأسيس الديوان:

- عندما قدم أبو هريرة من البحرين ومعه مال كثير، استغرب عمر من المبلغ وقال له: "أتدري ما تقول؟" وسأله عن حليته.
- فصعد عمر بن الخطاب المنبر وقال: "أيها الناس، جاءنا مال كثير، فإن شئتم جمعنا لكم كَيْلاً، وإن شئتم عددنا لكم عدداً".
- جاء رجل وقال له: "يا أمير المؤمنين، رأيت الأعاجم يدنون ديواناً، فدون لنا ديواناً".
- كان في المدينة مرازمة من الفرس، فشرح أحدهم لنظام الديوان الذي كان يُضبط فيه جميع الدخل والخرج مع ترتيب العطاء.

- فتنبّه عمر بن الخطاب، وأمر بتدوين الدواوين وفرض العطاء لكل مسلم.

ثالثاً: الأسس التي وضعها عمر بن الخطاب لإثبات الناس في الديوان:

- تاريخ التدوين: في شهر المحرم سنة 20 هـ / 640م.
- المفاضلة في العطاء:
 - درجة النسب: مثل زوجات النبي ﷺ وبيت علي بن أبي طالب وبيت العباس.
 - درجة السبق في الإسلام: من دخل الإسلام مبكراً يحصل على عطاء أكبر.
 - الجهاد: أهل بدر يتصدرون قائمة العطاء، يليهم من شهد الغزوات حتى صلح الحديبية (6 هـ / 627م)، ثم من شهد حروب الردة.
 - طبقات العطاء: من شهد المواقع الحربية حتى صلح الحديبية يتساوون في العطاء.
 - براعة في القتال: مثل أهل القادسية واليرموك.
 - البعد والقرب عن أرض العدو: قرب الدار من أرض العدو يعطى أفضلية في العطاء.
- ترتيب العطاء:

- بدأ بتحديد العطاء لأهل بيت رسول الله ﷺ ثم الأقرب فالأقرب.
- العطاء شمل جميع المسلمين، بما في ذلك النساء والأطفال.
- تفاصيل العطاء:

- العطاء للنساء والأطفال:
 - تم فرض العطاء للنساء، مع فرق بين المهاجرات الأوليات وأمهات المؤمنين، حيث تم فرض 12 ألف درهم لأم المؤمنين عائشة، و10 آلاف درهم للباقيات.
 - فرض عطاء للنساء في مراحل مختلفة من الهجرة، مثل نساء أهل بدر 500 درهم، ونساء بعد بدر حتى صلح الحديبية 400 درهم، ومن بعد ذلك 200 درهم.
 - فرض 200 درهم للأطفال في السنة.
- تفاصيل العطاء للأفراد:
 - العباس بن عبد المطلب: تصدر قائمة العطاء بحوالي 25 ألف درهم في السنة.
 - أهل بدر: فرض لهم 5 آلاف درهم، ويشمل العرب والموالي.
 - الأنصار: فرض لهم 4 آلاف درهم، أولهم محمد بن مسلمة.
 - المهاجرون للحبشة: فرض لهم 4 آلاف درهم.
 - من شهد الحديبية: فرض لهم 3 آلاف درهم.
 - الفاتحون: فرض لهم 2 آلاف درهم.
 - من بعد القادسية واليرموك: فرض لهم ألف درهم.
- فكرة توحيد العطاء:
 - فكر عمر في توحيد العطاء بحيث يكون 4 آلاف درهم لكل فرد، لكن لم ينفذ ذلك لأنه توفي قبل إتمامه.

رابعاً: أهم الدواوين في الدولة الإسلامية

- ديوان العطاء:

ديوان العطاء هو الذي وضع أسسه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان الهدف من هذا الديوان هو تحديد العطاء المقرر لكل فرد في الدولة الإسلامية، وفقاً لأسس ومبادئ تنظم توزيع الأموال والموارد بين المسلمين.
- ديوان الجيش:

ديوان الجيش نشأ بالتوازي مع ديوان العطاء بسبب الحاجة لتسجيل أسماء الجنود وإحصائهم، وتنظيم أمورهم وتوزيع

الأرزاق والأعطيات لهم.

نشأ ديوان الجيش كجزء من النظام العربي في الدولة الإسلامية، وكان له دور كبير في تسجيل الجنود وتنظيمهم في الجيش، بالإضافة إلى تحديد مقدار العطاء بناءً على معايير معينة.

○ الشروط الواجب توافرها في من يسجل في ديوان الجيش:

- أن يكون رجلاً.
- بالغاً.
- حراً.
- مسلماً.
- خالياً من الأمراض والآفات.
- الأقدام على الحروب ومعرفة أساليب القتال.
- تقدير العطاء للجندي:

- يتم تحديد العطاء بناءً على عدد الذراري (الأطفال) والمماليك (الخدم) الذين يعولهم الجندي.
- عدد الخيل والظفر الذي يربطه الجندي.
- المكان الذي يقيم فيه الجندي وحالة هذا المكان من حيث الرخص أو الغلاء.
- شروط الانتظام في ديوان الجيش:

- الالتزام التام بالجنسية والجهاد، حيث كان يُحظر على الجنود ممارسة أعمال أخرى مثل الزراعة والتجارة لضمان التفرغ التام للجنسية.
- تأمينات الدولة للجنود:

- الدولة كانت تضمن للجنود تعويضات إذا تلفت دوابهم أو أسلحتهم في المعركة.
- إذا استشهد الجندي، يُورث أبناؤه عطاءه من بيت مال المسلمين.

● صاحب ديوان الجيش:

- عادة ما يُعين لهذا المنصب أحد أكفأ كتّاب الدولة، ويجب أن يتحلى بصفات معينة، مثل:
 - أن يكون من أعلى الناس قدراً.
 - أن يكون واسع الصدر، حسن الخلق.
 - أن يكون خبيراً بالجيش والعروض، وأن يعرف رتبة الجنود وأقدارهم.
 - أن يكون ملماً بأنواع الأسلحة والدواب.
 - أن يكون قادراً على تنفيذ أوامر وزير الجيش.

● اختصاصات كاتب ديوان الجيش:

- حفظ القوانين وتنفيذها.
- استيفاء الحقوق ومحاسبة العمال.
- إخراج الأحوال وتصفية الظلامات (المظالم) التي قد يرفعها الجنود.
- تنظيم وتوزيع النفقات والرواتب اللازمة للجيش.

● ديوان الرسائل (الإنشاء):

ديوان الرسائل كان له دور بارز في تاريخ الدولة الإسلامية في مختلف العصور. وفيما يلي مراحل تطوره:

- الكتابة في عهد الرسول ﷺ
- في عهد الرسول ﷺ، كانت الكتابة مهمة جداً حيث كان لديه كتاب للوحي، وكان بعض الصحابة مثل علي بن

أبي طالب رضي الله عنه يكتبون العهود والرسائل. من أبرز الأمثلة على ذلك كتابة علي بن أبي طالب لرسالة صلح الحديبية، كما كان الزبير بن العوام وحذيفة بن اليمان يكتبون للرسول في مواضيع مختلفة مثل أموال الصدقات والمعاملات.

- **في عهد الخلافة الراشدة (11 - 40 هـ / 632 - 660م):**
في هذه الفترة، كانت الكتابة تقتصر على الأعمال الإدارية المهمة، وقد استخدم الخلفاء الراشدين كتاباً مثل زيد بن ثابت وعبد الله بن خلف لكتابة الرسائل وتنظيم شؤون الدولة.
- **في العصر الأموي (41 - 132 هـ / 661 - 749م):**
في العصر الأموي، كان ديوان الإنشاء يتولى أمره كاتب يختاره الخليفة، وكان يتولى كتابة الرسائل والتوقيع على القرارات الرسمية. من أبرز كتاب العصر الأموي كان عبد الحميد بن يحيى الكاتب الذي خدم في ديوان الخليفة مروان بن محمد.
- **في العصر العباسي (132 - 656 هـ / 749 - 1258م):**
خلال العصر العباسي، اهتم الخلفاء بشكل كبير بديوان الرسائل. في بعض الأحيان كان الوزير هو من يدير هذا الديوان. من أبرز الكتاب في هذه الفترة يحيى بن خالد البرمكي الذي خدم في عهد هارون الرشيد، وكذلك عمرو بن مسعدة الذي كان كاتباً في عهد الخليفة المأمون.
- **ديوان الإنشاء في مصر عصر أحمد بن طولون:**
في مصر، اهتم أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية بديوان الإنشاء، وكان من أبرز كتابه أبو جعفر محمد بن أحمد وإسحاق بن نصر العبادي النصراني. وقد أعطى ابن طولون هذا الديوان عناية كبيرة في تنظيم شؤونه.
- **ديوان الإنشاء في العصر الفاطمي:**
في العصر الفاطمي، كان لديوان الإنشاء أهمية خاصة، حيث تولى عدد من الكتاب من المسلمين وأهل الذمة (اليهود والنصارى) كتابة الرسائل الرسمية. من أبرز الكتاب في هذا العصر أبو منصور النصراني في عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمي، والقاضي أبو الطاهر البهزكي في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله.
- **في العصر الأيوبي:**
مع وصول الدولة الأيوبية إلى مصر، تم الاهتمام بديوان الإنشاء بشكل كبير، حيث كان القاضي الفاضل البيساني وفخر الدين بن لقمان من أبرز الكتاب في هذا العصر الذين كتبوا للملك صلاح الدين الأيوبي.
- **في عصر المماليك:**
في عصر المماليك (648 - 923 هـ / 1250 - 1517م)، استمر الاهتمام بديوان الإنشاء، واشتهر في هذا العصر عدد من الكتاب الذين برعوا في صياغة الرسائل الرسمية.
- **ديوان الخراج:**
ديوان الخراج كان مسؤولاً عن إدارة الموارد المالية للدولة الإسلامية، خاصة تلك المتعلقة بخراج الأراضي الزراعية التي كانت تحت إدارة أصحابها. كانت الأراضي تزرع من قبل أصحابها مقابل دفع خراج للدولة الإسلامية. وقد تم تنظيم هذا الديوان في مختلف العصور الإسلامية كما يلي:
- **تنظيم الخراج في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه:**
في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تم تعيين موظفين مختصين لجمع الخراج في الولايات والأمصار الإسلامية المختلفة. هؤلاء المسؤولون كانوا يقومون بجمع الأموال التي تُدفع مقابل الأراضي الزراعية.

○ اللغات المستخدمة في ديوان الخراج:

كانت اللغة المستعملة في ديوان الخراج تختلف حسب المناطق الجغرافية في الدولة الإسلامية. في العراق وفارس كانت اللغة الفارسية هي السائدة، بينما في الشام كانت تستخدم اللغة الرومية أو اليونانية. وفي مصر كان يتم استخدام اللغة القبطية واللغة الرومية.

لكن هذا النظام تغير عندما قام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65-86 هـ / 684-705م) بتعريب الدواوين، أي تحويل اللغة الرسمية للدولة من اللغات المحلية إلى اللغة العربية، وهي لغة القرآن الكريم.

○ تحديد قيمة الخراج:

كانت قيمة الخراج تُحدد بناءً على عدة عوامل مثل جودة الأرض وخصوبتها، ووفرة المحصول، ونوع المحصول، وكذلك توفر مياه الري. هذا النظام كان يضمن أن يتم تحديد الخراج بشكل عادل وفقاً لإنتاجية الأراضي.

○ دور صاحب الخراج:

كان صاحب الخراج يتولى جمع الخراج من ولايته، ثم يقوم بصرف الأموال اللازمة لتغطية نفقات الولاية مثل مرتبات وأرزاق الجنود والموظفين، وصيانة المرافق العامة مثل تطهير الترع والقنوات، وبناء الجسور، وتوفير الخدمات العامة الأخرى. بعد ذلك، كان يتم إرسال الفائض من الخراج إلى عاصمة الدولة الإسلامية سواء كانت المدينة المنورة في عهد الخلفاء الراشدين، أو دمشق في العصر الأموي، أو بغداد في العصر العباسي.

● ديوان البريد:

ديوان البريد كان من أهم الدواوين في الدولة الإسلامية، وقد أسسه الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (41 - 60 هـ / 661 - 679م). وكان الهدف من هذا الديوان هو تنظيم عملية نقل الرسائل والأخبار بين مختلف أقاليم الدولة الإسلامية، لضمان سرعة نقل المعلومات.

○ أهمية ولاية البريد:

كان يُنظر إلى ولاية البريد على أنها ولاية جلييلة القدر، وذلك لأن صاحب البريد كان بحاجة إلى تنظيم كبير وجماعة من العمال المخصصين لهذه المهمة. كان يتطلب الأمر توفير الكثير من الموارد والاهتمام، بحيث يمكن لصاحب البريد أن يتابع كافة أخبار الدولة ويبلغها إلى الخليفة.

○ تنظيم العمل في ديوان البريد:

كان لصاحب البريد العديد من العمال والمساعدين في الولايات المختلفة، وكانوا يعملون على جمع المعلومات ونقلها. من خلال شبكة واسعة من المحطات والطرق، كان البريد يصل إلى كافة أنحاء الدولة، بما في ذلك المدن البعيدة.

○ وسائل النقل المستخدمة:

كان الوسيلة الأساسية لنقل البريد هي الخيول، حيث كانت محطات البريد مجهزة بالخيول وراكبيها لنقل الرسائل بسرعة. كما كان المسلمون يستخدمون الحمام الزاجل لنقل الأخبار بين المحطات، وهو وسيلة فعالة للاتصال عبر مسافات طويلة.

○ دور صاحب البريد:

كان الخليفة يأمر صاحب البريد بالدخول عليه في أي وقت، سواء كان النهار أو الليل، حيث كان هناك احتمال أن يكون الخبر الوارد ذو أهمية أو خطورة، مما يستدعي إبلاغ الخليفة فوراً. كانت هذه السرعة في نقل المعلومات من أبرز عوامل نجاح الدولة الإسلامية في تنظيم شؤونها وضمان استقرارها.

● ديوان التوقيع:

كان ديوان التوقيع مسؤولاً عن إعداد المسائل والقرارات التي تحتاج إلى عرض على الخليفة للحصول على موافقته. بعد موافقة الخليفة، كان يمكن لصاحب الديوان التوقيع عليها وإتمام الإجراءات. في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد، كان جعفر

بن يحيى البرمكي هو صاحب هذا الديوان، وكان له دور كبير في تنظيم الأعمال الإدارية.

• ديوان النفقات:

كان ديوان النفقات من أهم الدواوين في الخلافة، حيث كان يتولى الإشراف على حاجات دار الخلافة من متطلبات مالية وإدارية. كان هذا الديوان يضمن أن الموارد المالية للخلافة تُنفق بالشكل الصحيح والمناسب على احتياجات الدولة والموظفين.

• ديوان الخاتم:

ديوان الخاتم كان مختصاً بنسخ أوامر الخليفة وحفظها في الديوان بعد ختمها بالشمع وتوثيقها بخاتم صاحب الديوان. كان بمثابة الأرشيف الرسمي أو السجلات التي تحفظ الأوامر الرسمية للدولة. كان هذا الديوان من الدواوين الكبرى في الدولة الإسلامية، واستمر عمله منذ عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (41-60 هـ / 661-679م) حتى منتصف العصر العباسي. في مرحلة متقدمة، تم إلغاء هذا الديوان بعد أن انتقلت مهامه إلى الأمراء والوزراء والولاة.

نظراً لأهمية هذا الديوان في حفظ الأوراق الرسمية والأوامر، فقد كان له دور محوري في تنظيم الدولة، وكان الخلفاء يعينون فيه الثقاة من مواليهم أو من المقربين إليهم لضمان تنفيذ القرارات بشكل صحيح وأمن.

• ديوان بيت المال:

كان ديوان بيت المال المسؤول عن الإشراف على الأموال الواردة إلى عاصمة الخلافة الإسلامية سواء كانت المدينة المنورة في عهد الخلفاء الراشدين، أو دمشق في عهد الدولة الأموية، أو بغداد في عهد الدولة العباسية. وكان هذا الديوان يحدد إيرادات الدولة ونفقاتها. وقد كانت هذه الإيرادات تتنوع بين الزكاة، الخراج، والجزية، بالإضافة إلى موارد أخرى مثل الغنائم. كان ديوان بيت المال يتولى جمع هذه الأموال وتوزيعها على المصارف المختلفة في الدولة الإسلامية بما يتماشى مع الشريعة الإسلامية.

• الديوان الكبير:

في عهد الخليفة العباسي المعتضد بالله (279-289 هـ / 892-901م)، تم إجراء تغيير إداري كبير في دواوين الدولة العباسية. حيث قام الخليفة المعتضد بضم دواوين الولايات المختلفة لتشكيل الديوان الكبير الذي أطلق عليه اسم ديوان الدار. وقد تم تقسيم هذا الديوان إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

○ ديوان المشرق: كان هذا القسم مختصاً بإدارة شؤون المشرق العربي مثل بلاد الشام.

○ ديوان المغرب: كان يختص بإدارة شؤون المغرب العربي أي المناطق الواقعة غرب الدولة العباسية.

○ ديوان السواد: كان يتعامل مع شؤون العراق، وخاصة إدارة المناطق التي كانت تحت سيطرة الدولة العباسية في ذلك الوقت.

• كان هذا التغيير الإداري يهدف إلى تنظيم الإدارة وتنسيق العمل بين مختلف مناطق الدولة العباسية، مما ساهم في تحسين كفاءة الحكم المركزي في بغداد.

الفصل الخامس

الإمارة على البلدان والشرطة

أولاً: الإمارة على البلدان:

الإمارة كانت وظيفة هامة في الدولة الإسلامية، حيث كانت تتولى مسؤولية إدارة الأقاليم والولايات. وكان الأمراء أو الولاة هم المسؤولين عن الحفاظ على وحدة الدولة الإسلامية، قوتها، واستقرارها، كما كانوا يضمّنون مصلحة الرعية في مختلف الأقاليم.

1. الإمارة في عهد الرسول ﷺ

لم تكن حكومة الرسول ﷺ حكومة دينية فحسب، بل كانت أيضاً حكومة سياسية وإدارية. فقد جمع الرسول ﷺ في يديه السلطة الدينية، السياسية، والإدارية، وهو ما جعله يتولى العديد من المهام الهامة مثل:

- فصل الخصومات بين الناس.
- جبي الصدقات من المسلمين.
- قيادة الجيوش وتوجيهها في الفتوحات والجهاد.
- تدبير أمور الدولة الإسلامية وتسيير شؤونها.
- النظر في أحوال الرعية من خلال التأكد من توفير احتياجاتهم وحل مشاكلهم.
- إمامة المسلمين في الصلاة عند غيابه في أوقات معينة.

وعند هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، قام بوضع نظام إداري خاص بالدولة الإسلامية الجديدة. فأناوب الوالي عن كل قبيلة أو مدينة كبيرة في شبه الجزيرة العربية، بحيث كان كل والي أو أمير من قبله يتولى مسؤولية كبيرة تشمل العديد من المهام الأساسية مثل:

- إمامة المسلمين في الصلاة.
 - جمع الزكاة من المسلمين.
 - النظر في أحوال الرعية والعمل على توفير الاحتياجات وحل المشاكل.
 - قيادة الجيوش في جهاد الأعداء.
2. من بين الولاة الذين عينهم الرسول ﷺ في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية:

- معاذ بن جبل: والياً على اليمن.
 - العلاء بن الحضرمي: والياً على البحرين وهرج.
 - عمرو بن العاص: والياً على عمان.
3. وهكذا، كان الرسول ﷺ يولي الولاة أو العمال من قبله في مختلف الأقاليم لتولي مسؤولية إدارة الأمور، وكانوا يتبعون توجيهاته في إدارة الشؤون الدينية والإدارية.

الإمارة على البلدان في عهد الخلفاء الراشدين (١١-٤٠ هـ):

في فترة الخلفاء الراشدين، حرصوا على تقوية العلاقة بين الأقاليم المفتوحة وبين المدينة المنورة (عاصمة الدولة الإسلامية)، حيث كانوا يرون أن الإمامة للمسلمين واحدة، وأن الخليفة هو المسؤول عن رعيته في كافة أنحاء الدولة.

وكان الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم، يعيّنون القادة العسكريين الذين فتحوا الأقاليم ليكونوا ولاة عليها. وكان والي الإقليم أو أمير الإقليم يُعتبر نائباً عن الخليفة، وبالتالي كانت صلاحياته واختصاصاته واسعة، ولكنها في النهاية كانت مرتبطة بعلاقته بالخليفة ومرتبطة بتوجيهاته.

● في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (١١-١٣ هـ / ٦٣٢-٦٣٤م):

في بداية فترة الخلافة، قرر أبو بكر الصديق أن يُبقي على الولاة الذين عينهم النبي ﷺ في مناطقهم. وكانت المملكة العربية في ذلك الوقت مقسمة إلى عدة ولايات إدارية من أجل تسهيل إدارتها. ومن أبرز هذه المناطق:

- مكة المكرمة.
- المدينة المنورة.
- الطائف.

- نجران.
- صنعاء.
- زبيد وحضرموت.
- البحرين وعمان.
- وكان الخليفة أبو بكر قد وضع الولاة لهذه المدن والولايات مع مسؤولياتهم الإدارية والمالية، لضمان حسن سير الأمور وتوفير الاستقرار في هذه المناطق.

● في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣ هـ / ٦٣٤-٦٤٤م):

مع توسع الدولة الإسلامية بشكل كبير في عهد عمر بن الخطاب، قرر الخليفة تقسيم البلاد والأمصار إلى أقسام إدارية أكبر لتسهيل إدارتها بشكل أكثر تنظيماً. وقد عين ولاية للإشراف على كل ولاية أو إقليم، وكان هؤلاء الولاة يستمدون سلطتهم بشكل مباشر من الخليفة نفسه. وقد جمع الخليفة عمر بن الخطاب بين السلطتين التنفيذية والقضائية، مما جعل له سلطة قوية على الأقاليم.

وكان يتم أحياناً إطلاق لقب الأمراء على الولاة الذين كانوا يشرفون على الأقاليم ويقومون بإدارتها.

الإمارة في عهد بني أمية (٤١-١٣٢ هـ / ٦٦١ - ٧٤٩م):

في العصر الأموي، كانت الدولة تسعى لتطوير النظام الإداري بشكل كبير. فقد عين الأمويون الولاة على الولايات والأمصار الإسلامية، وكان هؤلاء الولاة في الغالب من أهل العصبية أو من الموالين للدولة الأموية منذ نشأتها تحت قيادة معاوية بن أبي سفيان في سنة ٤١ هـ / ٦٦١م.

كما شهدت هذه الفترة تحولاً في مصطلحات الإدارة؛ حيث أطلق اسم "عامل" على المسؤولين الإداريين، بينما أطلق لقب "أمير" على حكام الولايات. وكان لكل إقليم أمير أو والي يتولى مسؤوليات متعددة.

- مهام الوالي في العصر الأموي:
- 1. إمامة المسلمين في الصلاة.
- 2. قيادة الجيوش: كان الوالي مسؤولاً عن تجهيز الجيوش للدفاع عن البلاد وقيادتها في الحروب.
- 3. الدفاع عن الثغور وحماية الحدود: كان الوالي يشرف على حماية المناطق الحدودية.
- 4. الإشراف على شئون الولاية: كان يتحمل مسؤولية إدارة الأمور الداخلية للولاية.
- 5. الفصل في النزاع بين المسلمين: كان الوالي يتدخل لحل الخلافات بين المواطنين.

وكان هناك العديد من الولاة البارزين الذين تركوا بصمة كبيرة في العصر الأموي. من هؤلاء:

- زياد بن أبيه وابنه عبيد الله بن زياد.
- الحجاج بن يوسف الثقفي.
- عمرو بن العاص.
- عبد الله بن سعد بن أبي السرح.
- عقبة بن نافع الفهري.
- حسان بن النعمان.
- موسي بن نصير.

دور الولاة في الفتوحات الإسلامية: إلى جانب مهامهم الإدارية، كان للولاة دور مهم في توسيع حدود الدولة الإسلامية من خلال الفتوحات:

- **الحجاج بن يوسف الثقفي:** كان مسؤولاً عن المشرق الإسلامي وأرسل **قتيبة بن مسلم الباهلي** لفتح مناطق آسيا الوسطى (الجمهوريات الإسلامية السوفيتية حالياً مثل أذربيجان وتركمانستان وكازاخستان وأوزبكستان وطاجيكستان، ووصل إلى الجزء الغربي من الصين).
- **محمد بن القاسم الثقفي:** قاد الفتوحات في منطقة السند (التي هي باكستان حالياً).

وفي الميدان الغربي، شارك العديد من القادة مثل:

- **عقبة بن نافع الفهري.**
- **أبو المهاجر دينار.**
- **زهير بن قيس البلوي.**
- **حسان بن النعمان.**
- **موسي بن نصير.**
- **طارق بن زياد.**

وكانوا يقودون الجيوش الإسلامية عبر شمال أفريقيا من مصر وصولاً إلى المحيط الأطلسي، ثم عبروا إلى **الأندلس** (إسبانيا حالياً) ووصلوا إلى جنوب فرنسا.

بالإضافة إلى إمامة المسلمين في الصلاة، جباية الصدقات، وقيادة الجيوش، كان الولاة الأمويون أيضاً يعتنون بإدارة شؤون الولايات والأمصار، مما ساهم في استقرار الدولة الإسلامية وتوسعها.

في العهد العباسي (١٣٢ - ٦٥٦ هـ / ٧٤٩-١٢٥٨م):

في العصر العباسي، خاصة في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، كانت الدولة العباسية تتكون من عدة ولايات رئيسية، مثل مصر، فارس، البصرة، الكوفة، الأهواز، الري، أصبهان، الثغور، الشام، المغرب، والأندلس. وكان يتولى كل ولاية أمير أو والٍ يساعد موظف كبير يُسمى "العامل" أو "صاحب الخراج"، الذي كان مسؤولاً عن جمع الخراج وإرساله إلى بيت المال في عاصمة الخلافة العباسية (بغداد). وكان من مهام العامل أيضاً تنظيم ما تتطلبه الولاية من إصلاحات.

مع مرور الوقت، وضعفت سلطة الدولة العباسية، مما دفع العديد من الولاة إلى البقاء في عاصمة الخلافة (بغداد أو سامراء) وتعيين **عمال** ليحكموا ولاياتهم بالنيابة عنهم. ومع هذا، أدى ذلك إلى بعض الولاة أو العمال الذين بدأوا في التمرد والاستقلال عن الخلافة العباسية في بعض الأطراف، ومن أبرز الأمثلة على ذلك **أحمد بن طولون** الذي استقل بحكم مصر وبلاد الشام وأسس الدولة الطولونية (٢٥٤ - ٢٩٢ هـ / ٨٦٨-٩٠٥م).

المساعدون في إدارة الولاية: كان يساعد الوالي أو الأمير في إدارة الولاية مجموعة من الموظفين الذين كانوا يؤدون مهاماً محددة:

1. **القاضي:** كان يتولى النظر في القضايا القانونية والفصل بين الناس.
2. **البندار** (أو "كاتب السلعة"): كان مسؤولاً عن مطالبة الناس بدفع الخراج والضرائب والمال.
3. **صاحب الجند:** كان مسؤولاً عن شؤون الجيش وتدريبه.
4. **صاحب البريد:** كان مسؤولاً عن تنظيم البريد والتواصل بين الولايات.
5. **متولي السواقي أو الضياع السلطانية:** كان يشرف على السواقي والضياع التي تعود للدولة.

6. صاحب المعونة: كان يُعين صاحب الجند في تنظيم وتدبير الجيوش.

هذه الأجهزة الإدارية ساعدت في تنظيم شؤون الدولة العباسية ولكن مع ضعف الخلافة في أواخر العصر العباسي، بدأت تتزايد محاولات الولاة والعاملين للحصول على مزيد من السلطة والاستقلال عن الخلافة المركزية.

الإمارة في العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧ هـ / ٩٦٩-١١٧١ م):

في العصر الفاطمي، كانت مصر مقسمة إلى أربع ولايات كبرى، وهي:

1. ولاية قوص: كان هذا الإقليم يمثل الصعيد، وكان يحكمه حاكم من المغاربة.
2. ولاية الشرقية: كانت تشمل الأراضي الواقعة إلى الشرق من فرع دمياط من نهر النيل. ومن أشهر مدن هذه الولاية قليوب (التي تتبع محافظة القليوبية حاليًا) وبلييس (التي كانت تمثل عاصمة هذه الولاية، وتتبع محافظة الشرقية حاليًا).
3. ولاية الغربية: كانت تشمل الأراضي الواقعة بين فرعي النيل دمياط ورشيد من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب. ومن أشهر مدن هذه الولاية منوف (التي تتبع محافظة المنوفية حاليًا) وأبيار والمحلة الكبرى (التي تتبع محافظة الغربية حاليًا).
4. ولاية الإسكندرية: تشمل مدينة الإسكندرية بالإضافة إلى البحيرة، ومن أهم مدنها دمنهور (التي تتبع محافظة البحيرة حاليًا).

ولاية الفسطاط والقاهرة:

- الفسطاط: أسسها عمرو بن العاص في 21 هـ / 641-642م، وكانت العاصمة الأولى لمصر بعد الفتح الإسلامي.
- القاهرة: أسسها الفاطميون في 358 هـ / 969م وكانت العاصمة الثانية. وكان والي القاهرة يتمتع بمقام أعلى وأرفع من والي الفسطاط.

تعيين الولاة: في البداية، كان الخليفة الفاطمي هو المسؤول عن تعيين الولاة في هذه الولايات، لكن مع مرور الوقت، وخصوصًا في العصر الفاطمي الثاني، بدأت سلطة الخلفاء تضعف وأصبحت الخلافة الفاطمية اسمية فقط. الوزراء أصبحوا هم من يتخذون القرارات الرئيسية بشأن تعيين الولاة والإشراف على إدارة الدولة الفاطمية، حيث أصبحت لهم الكلمة العليا في إدارة الأمور.

أنواع الإمارة على البلدان:

ذكر الماوردي في كتابه "الأحكام السلطانية" أن هناك ثلاثة أنواع من الإمارة على البلدان:

1. إمارة الاستكفاء:

- في هذا النوع، يفوض الخليفة إلى والي إمارة بلد أو إقليم معين.
- من اختصاصات والي في هذه الإمارة:
 - تدبير الجيوش وترتيبها.
 - تحديد أرزاق الجند.
 - النظر في الأحكام.
 - تقليد القضاة والعمال.
 - جباية الخراج والصدقات.

- حماية الدين والدفاع عن البلاد.
- إقامة حدود الشريعة الإسلامية.
- إمامة المسلمين في الصلاة.
- تسيير الحجيج.

2. إمارة الاستيلاء:

- في هذا النوع، يستولي أحد الأمراء على ولاية من الولايات دون موافقة الخليفة، ويضطر الخليفة إلى إقراره عليها.
- إذا حدثت إمارة الاستيلاء، يمكن للخليفة أن يقر ويعترف بهذه الولاية بشرط أن تبقى الحدود مصانة، وأن الإسلام قائم وأن الدين محفوظ.

3. إمارة الخاصة:

- في هذا النوع، يقتصر دور الوالي على تدبير الجيش وسياسة الرعاية فقط، ولا يتدخل في القضاء أو الأحكام أو جباية الضرائب.
- من مهامه:
 - تسيير الحجيج.
 - إمامة المسلمين في الصلاة.
 - إقامة حدود الإسلام.

الشروط الواجب توافرها فيمن يتولى الولاية أو الإمارة على البلدان:

1. أن يكون رجلاً بالغاً.
2. أن يكون مسلماً.
3. أن يكون حرّاً.
4. أن يكون عالماً بالأحكام الشرعية.
5. أن يكون لديه معرفة بأمور الحرب.
6. أن يكون لديه دراية بأمور الزكاة والخراج، والجيش، والثغور، وجهاد الأعداء.

اختصاصات الأمير أو الوالي:

1. النظر في تدبير الجيوش وترتيبها في النواحي.
2. تقدير أرزاق الجند ومراتبهم.
3. النظر في الأحكام وشئون القضاء.
4. تقليد القضاة.
5. قبض الصدقات.
6. جباية الخراج وتقليد العمال على الخراج والزكاة لتقسيمها بين مستحقيها.
7. حماية الدين ومراعاة أصوله دون تغيير أو تبديل.
8. إقامة الحدود في حق الله وحقوق الأدميين.
9. الإمامة في الجمع والجماعات حتى يقوم بها أو يستخلف عليها.
10. تسيير الحجيج إلى الأماكن المقدسة، ومعاونتهم في ذلك وتدبير أمورهم.
11. الجهاد: وهذا يتعلق بطبيعة الإقليم، سواء كان ثغراً (مكان يفصل بين حدود الدولة الإسلامية وحدود أرض العدو) أو متاخماً لأرض العدو، فيجب في هذه الحالة جهاد الأعداء وشحن الثغور بالمقاتلين والمرابطين لحماية أملاك الدولة.

12. تقسيم الغنائم والفبيء بين المسلمين حسب الأنصبة الشرعية والنظم المعمول بها.

ثانياً: الشرطة:

١ - تعريف الشرطة

الشرطة هم الجند الذين يعتمد عليهم الخليفة أو الوالي في استتباب الأمن وحفظ النظام، والقبض على الجناة والمفسدين واللصوص وقطاع الطرق، وغير ذلك من الأعمال الإدارية التي تكفل سلامة الجمهور وتوفير الأمن والسلامة لهم. وقد سُميت الشرطة بهذا الاسم لأنهم علموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها.

٢ - نشأة الشرطة:

أ - الشرطة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين:

اختلفت الآراء حول نشأة جهاز الشرطة في الإسلام:

1. رأي أول: يرى أن الشرطة نشأت في عصر النبوة باعتبار أنه كان هناك صاحب للشرطة أيام النبي صلى الله عليه وسلم وهو قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، وكان هناك من يحرسون النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل قول الحق سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}.
 2. رأي ثاني: يرى أن الشرطة انبثقت من نظام العسس الليلي الذي ثبتت دعائمه في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
3. رأي ثالث: يرى أن الخليفة عثمان بن عفان هو أول من عرف نظام الشرطة في الإسلام، عندما اتخذ صاحباً للشرطة بمثابة مدير الأمن في العصر الحالي.
4. رأي رابع: يرى أن عمرو بن العاص هو أول من اتخذ شرطة في الإسلام، عندما ولي مصر أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
5. رأي خامس: يرى أن الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان هو أول من استعمل الشرطة.
6. رأي سادس: يرى أن علي بن أبي طالب هو الذي نظم الشرطة وأطلق عليها اسم "صاحب الشرطة".

ورغم تعدد الآراء، يبدو أن الشرطة ظهرت بشكل واضح ومنظم في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، حيث كان لها مكان في سوق المدينة وتمارس وظائفها في حفظ الأمن والنظام وحراسة الأسواق.

الشرطة في العصور المختلفة:

1. الشرطة في عهد بني أمية:

○ في هذا العصر، أصبحت الشرطة أداة تنفيذية فقط، ولم يكن لصاحبها أي عمل إلا بأمر من الخليفة أو الوالي.

2. الشرطة في عهد بني العباس:

- في العصر العباسي، اتسع نطاق الشرطة وزادت سلطاتها، وأصبحت جهازاً مستقلاً. وكان هناك شرطة بغداد أو شرطة سامراء، وكان العباسيون يولونها أشخاصاً من أهل الثقة والقوة.

٤ - تقسيم الشرطة:

1. الشرطة الكبرى:

- تختص بالحكم على الطبقة الخاصة (العليا)، ولصاحبها الحق في الحكم على الشخصيات السلطانية وأقاربهم.
- 2. الشرطة الصغرى:

- تختص بالحكم على عامة الناس. وكان صاحب الشرطة يتولى مهمات الإدارة بمساعدة رجال يتواجدون بين يديه.

٥ - الشروط الواجب توافرها في صاحب الشرطة:

1. أن يكون رجلاً مهيئاً.
2. أن يكون دائم الصمت.
3. أن يكون طويل الفكر.
4. أن يكون بعيد الغور (ينمتع بحسن النظر).
5. أن يكون قليل التبسم.
6. أن لا يلتفت إلى الشفاعات خاصة مع المجرمين.

٦ - اختصاصات الشرطة:

1. حفظ الأمن والنظام.
2. مراقبة المقاهي وأماكن الشرب واللّهو.
3. تنفيذ أوامر الحكام أو الإمام والولاة.
4. تنفيذ الأحكام القضائية.
5. مساعدة المحتسب وعمال الخراج.
6. مراقبة الأسواق والشوارع والطرق ومداخل المدن والقرى.
7. مراقبة السجون والسهر على حراستها.
8. تفتيش الأطعمة وما يدخل إلى السجون.
9. ترميم أسوار المدن وحراسة مداخلها.
10. مراقبة الغرباء والداخلين والخارجين من المدن.
11. الضرب على أيدي المفسدين والصوص وقطاع الطرق.
12. مراقبة الحوانيت.

خلاصة: ظلت الشرطة من أهم المؤسسات الإسلامية التي تساهم في حفظ الأمن وحماية العدالة داخل أراضي الدولة الإسلامية، وقد تطورت على مر العصور من جهاز بسيط إلى جهاز إداري مستقل ومتطور.

الفصل السادس

النظام القضائي

أولاً: القضاء:

١. القضاء في عهد الرسول ﷺ:

كان النبي ﷺ هو القاضي الأول في الإسلام وكان يباشر قضاءه بنفسه، حيث كانت القضايا قليلة بسبب بساطة المجتمع الإسلامي آنذاك. في بعض الأحيان كان ينيب النبي ﷺ بعض أصحابه لتولي القضاء، مثل معاذ بن جبل الذي تولى القضاء في اليمن. عندما سأله الرسول ﷺ عن كيفية حكمه بين الناس، أجاب معاذ بأنه سيحكم بكتاب الله، وإذا لم يجد فيسنة رسول الله ﷺ، وإذا لم يجد فباجتهاده، فمدحه الرسول ﷺ على اجتهاده وقال: "الحمد لله الذي وفق رسول الله إلى ما يحبه ويرضاه".

كما كان النبي ﷺ يؤكد على العدالة والإنصاف، فقد قال لعلي بن أبي طالب ألا يقضي لأحد الخصمين حتى يسمع كلام الآخر. ومن أشهر القضاة في المدينة بعد وفاة النبي ﷺ هو عبد الله بن نوفل.

٢. القضاء في عهد الخلافة الراشدة:

في فترة الخلافة، كان الخلفاء يتولون القضاء بأنفسهم، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقضي بين الناس في المدينة. وبعد وفاته، أسند الخليفة أبو بكر القضاء إلى عمر بن الخطاب الذي كان معروفاً بالحزم والشدة في حكمه. عمر بن الخطاب هو أول من عين قضاة في الإسلام، وفرق بين السلطة التنفيذية (الحكومة) والسلطة القضائية (القضاء)، حيث عين أبو الدرداء قاضياً للمدينة، وشريحاً قاضياً للكوفة، وأبو موسى الأشعري قاضياً للبصرة، وعثمان بن قيس قاضياً لمصر.

وقد أرسل الخليفة عمر بن الخطاب كتاباً إلى القضاة يحدد فيه القواعد التي يجب أن يسيروا عليها في القضاء. وكان من أبرز ما يميز القضاء في عهد عمر بن الخطاب أن القاضي كان يقوم بتنفيذ الحكم مباشرة ولا يُسجل في دفاتر بل كان يُنفذ فوراً.

شروط من يتولى القضاء:

١. أن يكون بالغاً.
٢. أن يكون حرّاً (لا يجوز للعبد أن يكون قاضياً).
٣. أن يكون عاقلاً ومدرّكاً لما يقول.
٤. أن يتحلّى بالعدالة، ويكون صادقاً وأميناً.
٥. أن يكون مسلماً.
٦. أن يكون سليم السمع والبصر ليتمكن من تنفيذ الأحكام بشكل صحيح.
٧. أن يكون على دراية بالأحكام الشرعية.

مساعدو القاضي:

كان للقاضي مساعدون يساعدونه في تأدية عمله، وهم:

١. الكاتب: يكتب ما يحدث في الجلسات من قضايا وأحكام.
٢. الخازن: مسؤول عن حفظ السجلات والدفاتر.
٣. الحاجب: ينظم دخول المتقاضين ويحافظ على ترتيب الجلسات.
٤. الشرطي: يضمن النظام داخل المحكمة ويحضّر المتقاضين.
٥. المترجمون: يساعدون في ترجمة القضايا عندما تكون الأطراف غير ناطقة بالعربية.

6. **العدول أو الشهود:** يعتمد عليهم القاضي لإصدار حكمه، ويجب أن يكونوا عدولاً ونزيهين.

القضاء في عهد الرسول والخلفاء الراشدين كان نظاماً متكاملًا يهدف إلى تحقيق العدالة وحفظ حقوق الناس، وكان يقوم على أسس من الأمانة والإنصاف.

القضاء في العصر الأموي:

- **الفترة:** 41 - 132 هـ (661 - 749 م).
- **الخلفاء الأمويون:** لم يمارسوا القضاء بأنفسهم، وعيّنوا قضاة مستقلين.
- **أول من عين قاضياً:** الخليفة معاوية بن أبي سفيان (41-60 هـ / 661-679 م)، حيث عين فضالة بن عبيد الأنصاري على القضاء.
- **التفسير لعدم ممارسة الخلفاء القضاء:** بسبب انشغالهم بالسياسة العامة مثل الجهاد وحماية الحدود، فكانوا يعيّنون قضاة من أهل عصبتهم.
- **إشراف الخليفة على القضاة:** كان بعض الخلفاء مثل هشام بن عبد الملك (105-125 هـ / 723-742 م) يتدخلون في أحكام القضاة ويعزلون من يخطئ.
- **تسجيل الأحكام:** بدأ الخليفة معاوية بن أبي سفيان بتسجيل الأحكام لتجنب التلاعب بها بعد اعتراض الورثة على حكم قاضٍ.

القضاء في العصر العباسي:

- **الفترة:** 132 - 656 هـ (749 - 1258 م).
- **نشأة المذاهب الأربعة:** ظهور مذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي، مما أثر في تصرفات القضاة وأحكامهم.
- **تطور السلطة القضائية:** ازدادت سلطة القاضي لتشمل الشرطة والمظالم والحسبة.
- **تعيين القضاة:** الخلفاء العباسيون كانوا يعيّنون القضاة في الأقاليم ويدعمون هيبتهم.
- **تدخل الخلفاء في القضاء:** في العصر العباسي الثاني (232 - 334 هـ / 846 - 945 م)، بدأت التدخلات السياسية في القضاء، مما جعل القضاة يرفضون بعض المناصب خشية التدخل.

راتب القاضي: كان راتب القاضي الفضل بن غانم حوالي 168 ديناراً شهرياً في فترة الخليفة المأمون (198 - 218 هـ / 813-832 م).

المذاهب الأربعة:

- **انتشار المذاهب:** كان القضاة يصدرّون أحكامهم بناءً على المذهب الشائع في المنطقة، مثل:
 - العراق: مذهب أبي حنيفة.
 - الشام، المغرب، الأندلس: مذهب مالك.
 - مصر: مذهب الشافعي.
 - بعض بلاد العرب: مذهب أحمد بن حنبل.

مجلس القضاء:

- **المساجد:** في البداية كان القاضي يعقد جلساته في المسجد، ولكن الخليفة المعتضد بالله العباسي (279 - 289 هـ / 892 - 901 م) منع ذلك وأمر بعقد الجلسات خارج المسجد.

قاضي القضاة:

- **منصب قاضي القضاة:** يعتبر منصباً رفيعاً يشبه وزير العدل اليوم.

- أول من تولى اللقب: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (متوفي 192 هـ / 807م) في عهد الخليفة هارون الرشيد (170 - 193 هـ / 786 - 808م).
- ديوان القاضي: كان قاضي القضاة في بغداد يملك ديواناً لتسجيل رواتب وأسماء موظفيه.

لباس القضاة:

- الزي الرسمي: كان القضاة يرتدون عمامة سوداء على قلنسوة سوداء، وهو زي مميز لهم في المجتمع العباسي.

سلطة القضاة:

- استقلال القضاء: كان القاضي مستقلاً عن باقي السلطات، وكان لا يقبل تدخل أي شخص في حكمه.
- عدم قبول التدخل: القضاة كانوا لا يقبلون تدخل حتى من أقرب الناس إليهم في الأحكام، مثل القاضي توبة بن نمر الحضرمي الذي منع زوجته من الحديث عن القضايا.
- حالات فساد: رغم النزاهة، كان هناك قضاة غير نزيهين مثل يحيى بن ميمون الذي عزل الخليفة هشام بن عبد الملك لسوء سيرته.

أحكام القضاة:

- مصادر التشريع: كانت الأحكام مستمدة من القرآن والسنة والاجتهاد.
- الشهادات: كان القضاة يتحققون من نزاهة الشهود، ويتحققون من عدالة الشهادات.

إشراف القضاة:

- الأوقاف: كان القضاة يشرفون على الأوقاف التي يوقفها الأثرياء للفقراء والمشاريع الخيرية.

ثانياً - قضاء المظالم

- وظائف القاضي والمحتسب:

1. القاضي يعمل في نطاق العدالة والكفاءة.
 2. المحتسب يضمن سير شؤون الحياة وحماية المجتمع من الغش والجشع وفساد الذمم.
- ظهور المشاكل الصعبة:
1. في بعض الأحيان تنشأ مشاكل يصعب حلها أمام القاضي العادي أو سلطات المحتسب.
 2. الحالات تشمل الأشخاص ذوي المقام العالي أو القضايا المتعلقة بالدولة أو الشخصيات العامة مثل الولاة.
- إنشاء هيئة للمظالم:
1. تم إنشاء هيئة قضائية عليا لحل القضايا المستعصية التي لا يمكن حلها عبر القضاء العادي أو سلطات المحتسب.
 2. الهيئة تعتمد على العدل والحسم، وتختص في قضايا الظلم والفساد.
- المظالم في عهد النبوة والخلافة الراشدة:
1. المظالم تمثل سلطة قضائية أعلى من القاضي والمحتسب.
 2. كانت محكمة المظالم بمثابة محكمة استئناف عليا.
 3. رسول الله ﷺ نظر في قضايا مثل النزاع بين الزبير بن العوام وأحد الأنصار.

● المظالم في العصر الأموي:

1. الخليفة عبد الملك بن مروان خصص يوماً في الأسبوع للنظر في المظالم.
2. الخليفة عمر بن عبد العزيز جلس بنفسه للنظر في المظالم.

● المظالم في العصر العباسي:

1. الخلفاء العباسيون مثل المهدي، الهادي، هارون الرشيد، والمأمون جلسوا للنظر في المظالم.
 2. نشأ ديوان المظالم كهيئة تحكيم علياً للنظر في القضايا التي يعجز القاضي العادي عن الفصل فيها.
- ديوان المظالم:

1. ديوان المظالم كان محكمة استئناف يعرض عليها المتخاصمون طعونهم.
 2. الخلفاء العباسيون كانوا يشرفون على ديوان المظالم بأنفسهم.
 3. مع تطور الدولة، صار الوزراء والسلاطين هم الذين يتولون النظر في المظالم.
- شروط من يتولى المظالم:

1. جليل القدر
2. مسلم بالغ
3. حر
4. عالم بالأحكام الشرعية
5. سليم الحواس
6. كثير الورع
7. نافذ الأمر
8. عظيم الهيبة
9. ظاهر العفة
10. قليل الطمع

● الأمور التي ينظر فيها صاحب المظالم:

1. تعدي الولاة والعمال على الرعية
2. حقوق العمال في الضرائب
3. تظلمات الجند من تأخر العطاء
4. القضايا التي يعجز القضاة عن البت فيها
5. وقف تعدي ذوي الجاه والسلطان على العامة
6. مراقبة كتاب الدواوين
7. رد الغصوب والمظالم لأصحابها
8. النظر في الأمور التي يعجز عنها الحسبة
9. مراعاة العبادات الظاهرة
10. النظر في القضايا بين المتشاجرين

● محكمة المظالم:

1. تعقد بحضور الخليفة أو الولاة أو العمال.
2. الحضور يشمل:
 1. الحماة والأعوان
 2. القضاة والحكام
 3. الفقهاء

4. الكتاب

5. الشهود

● الفرق بين قاضي المظالم والقاضي العادي:

1. قاضي المظالم له هيبة وقوة تنفيذية أكبر.
2. قاضي المظالم يتمتع بحرية حركة أكبر من القاضي العادي.
3. يمكن لقاضي المظالم استخدام الشدة إذا لزم الأمر.
4. قاضي المظالم يمكنه التآني في النظر بالقضايا.
5. قاضي المظالم يستطيع تأديب الظالمين.
6. له صلاحية الضغط على الخصوم للتناصح.
7. يمكنه الاستماع لشهادات المستورين.

ثالثاً: الحسبة:

الحسبة في الإسلام هي نظام يهدف إلى مراقبة المجتمع وتطبيق الشريعة الإسلامية من خلال مبدأ "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". وكانت الحسبة تُنفذ بواسطة المحتسب الذي يتولى مراقبة المعاملات العامة والممارسات الاجتماعية لضمان التزامها بالقيم الإسلامية.

معنى الحسبة:

الحسبة تعني الإنكار أو الردع، وتعني في اللغة الأمر بالخير والنهي عن الشر. تاريخياً، كان ولي الأمر هو من يتولى القيام بمهمة الحسبة، حيث يراقب المعاملات اليومية في المجتمع ويمنع ما يتعارض مع الشريعة.

شروط المحتسب:

1. أن يكون رجلاً حراً مسلماً بالغاً.
2. أن يكون ذا رأي سديد وصرامة في الدين.
3. أن يكون عالماً بما يخص المنكرات الظاهرة.
4. بعض الفقهاء يرون أنه يجب أن يكون المحتسب من أهل الاجتهاد.

مهام المحتسب:

المحتسب يؤدي العديد من المهام التي تساهم في الحفاظ على النظام الاجتماعي والإسلامي، مثل:

1. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: مثل الصلاة في المسجد، والابتعاد عن المحرمات مثل الخمر والزنا.
2. المراقبة في الأسواق: منع الغش والتدليس، والتأكد من جودة السلع.
3. مراقبة الشوارع والطرق: إزالة الأذى وضمان راحة الناس في الأماكن العامة.
4. المراقبة على المخابز والمعامل: التأكد من نظافة الأماكن التي يتم فيها تحضير الطعام.
5. مراقبة سلوك التجار: منعهم من التلاعب بالأسعار أو احتكار السلع.
6. الإشراف على بناء المساجد: التأكد من صيانة المساجد وإصلاح ما تهدم منها.
7. منع المحظورات: مثل شرب الخمر أو لعب القمار.
8. الاحتفاظ بالأداب العامة: مراقبة اللسان والأفعال في الأماكن العامة.
9. منع التعدي على حقوق الجيران: ضمان التعايش السلمي بين الجيران.
10. رعاية الحيوانات: مثل منع الإساءة إليها كما نفعل في جمعيات الرفق بالحيوان حالياً.

الخلافات الفقهية:

اختلف الفقهاء في بعض الجوانب، مثل مسألة التجسس. فبعضهم يرى أنه يجوز للمحتسب جمع المعلومات لمنع الضرر، بينما يرى آخرون أنه لا يجوز له انتهاك خصوصيات الناس.

الحسبة كانت في الماضي جزءاً أساسياً من النظام الاجتماعي في الدولة الإسلامية، حيث كانت تساهم في الحفاظ على الأخلاق والنظام، وتعتبر من الوظائف المهمة التي تخدم المجتمع في إطار الشريعة الإسلامية.

دار الحسبة

في العهد الإسلامي، كان هناك مؤسسة تسمى "دار الحسبة" وهي المكان الذي يقيم فيه المحتسب ويؤدي فيه مهام وظيفته. كان المحتسب مسؤولاً عن مراقبة الأسواق والتأكد من عدم وجود غش أو تلاعب، وكان له الحق في استدعاء الباعة إلى دار الحسبة لفحص أدواتهم مثل الموازين والمكاييل لضمان دقتها.

كان مجلس الحسبة ينعقد أحياناً في المسجد، وكان المحتسب يستعين بعدد من الرجال يُسمون "الأعوان" الذين يجب أن يتصفوا بالقوة والأمانة والنزاهة والعفة والعدالة، كي يتمكنوا من أداء مهمتهم بكفاءة. كما كانت الدولة الإسلامية تقدم الدعم للمحتسب بتوفير الأعوان، ومنحته السلطة اللازمة، بما في ذلك سلطات الضرب أو الاستعانة بالشرطة في حال المخالفات الكبيرة.

القائمون بالحسبة الآن

مع تطور الحياة وتعدد المهام في العصر الحالي، أصبح جهاز الحسبة في بعض الدول الإسلامية متمثلاً في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي تقوم بوظيفة الحسبة في جزء من اختصاصاتها. ومع ذلك، تم توزيع المسؤوليات على العديد من المؤسسات والوزارات في الدول الإسلامية:

- النيابة العامة تتولى حماية الأفراد في حالات الاعتداءات.
- النيابة الإدارية تختص بمحاسبة الموظفين على تقصيرهم.
- مجلس الدولة يتدخل في حالات الظلم الإداري.
- مصلحة الدمغة تشرف على المكاييل والموازين والذهب.
- وزارة الصحة تختص بمراقبة الأطباء والصيادلة.
- وزارة التربية والتعليم تشرف على المدارس والجامعات.
- وزارة الأوقاف تشرف على المساجد ودور العبادة.
- وزارة المواصلات تهتم بوسائل النقل وطرق المواصلات.
- وزارة الري والأشغال العامة تهتم بالمياه والجسور.
- وزارة الزراعة تتابع الأراضي الزراعية والفلاحين.
- وزارة الإسكان تشرف على بناء المنازل والعقارات.

وبذلك نرى أن العديد من المصالح والوزارات الحالية تؤدي وظائف مشابهة لتلك التي كانت يؤديها المحتسب في الماضي.

أثر الحسبة في المجتمع

الحسبة كان لها دور كبير في التأثير على المجتمع. النفس البشرية تختلف في ميلها بين الخير والشر، وكان هناك أفراد يسعون للحق ويثنيهم الوعظ والنصيحة عن الظلم، بينما هناك آخرون لا يتوقفون عن الشر إلا بوجود سلطة شديدة وناقدة. كانت الحسبة أداة هامة في ردع الظلم وتنظيم المجتمع بما يحقق العدالة ويراعي مصلحة الجميع.

تطور الحسبة:

- **نشأتها في الإسلام:** يرى بعض المؤرخين أن الحسبة بدأت مع نشوء الدولة الإسلامية، وكان الرسول ﷺ هو أول محتسب في الإسلام. كان يقوم بعدد من المهام المرتبطة بالحسبة، مثل مراقبة الأسواق ومتابعة أحوال الناس في المدينة المنورة، وهو ما طبقه على أرض الواقع.

● الخلفاء الراشدون:

- **عمر بن الخطاب:** كان عمر بن الخطاب يراقب أمن المدينة ليلاً ويتفقد أحوال الرعية، وكان يتأكد من عدم تعرض أي فرد للظلم. كما كان يتعامل مع أهل الذمة (اليهود والنصارى) بحسنى، وفي موقف مشهور قام بإعطاء يهودي يتسول من بيت مال المسلمين وقال قولته المشهورة: "ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته وتركناه يُهلك عند الهرم". وكان عمر يراقب الأسواق لمنع الغش والفساد ويختبر المكاييل والموازين. لهذا السبب أطلق عليه لقب "ال خليفة العادل" و"ال خليفة الزاهد".
- **عثمان بن عفان:** كان عثمان بن عفان شديد الحياء والكرم، وكان ينصح دائماً بالتعامل مع أهل الذمة بالحسنى والإخاء.
- **علي بن أبي طالب:** كان علي بن أبي طالب حريصاً على رعاية الرعية، خاصة الفقراء والمساكين، وكان يعطيهم من بيت مال المسلمين. وقد نزل في حقه وحق زوجته آيات من القرآن الكريم في قوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.
- **تطور الحسبة في العصور الإسلامية:** في العصور الأموية (661-749م) والعباسية (132-1258م)، تم تطوير الحسبة ووضع قواعد محددة لها. اهتم بها الفاطميون في مصر والأمويون في الأندلس، وصارت وظيفة المحتسب من الوظائف الجليلة في الدولة الإسلامية.
- **دور الفقهاء:** لعب الفقهاء دوراً كبيراً في تنظيم الحسبة، حيث وضعوا الشروط والأحكام التي تحدد معالمها وفقاً للقرآن الكريم والسنة النبوية. كانت الحسبة تهتم بكل ما يخص المجتمع الإسلامي من معاملة وتقاليده وآداب.
- **أثر الحسبة:** ساهمت الحسبة في تحقيق الأمن والرخاء في المجتمع الإسلامي، وضمنت العدالة والمساواة والتسامح. ولذلك، فإن الحسبة كانت جزءاً مهماً من النظام القضائي الذي كان يحقق الأمن الاجتماعي والتكافل في المجتمع.

أحمد كرم

الفصل السابع

النظام الاجتماعي

1. مجتمع السادة والعبيد قبل الإسلام:

- كان المجتمع في مكة المكرمة وشبه الجزيرة العربية يعاني من الفساد والانحلال.
- لم يكن قادراً على الصمود أمام التغيرات التي جاء بها الإسلام، مما أدى إلى انهيار النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

2. هدف الإسلام من التشريعات الاجتماعية:

- أراد الإسلام تأسيس مجتمع جديد قادر على تحمل مسؤوليات الدعوة الإسلامية.
- بدأ الرسول ﷺ تطبيق النظم الإسلامية في المدينة المنورة.

3. التقاء النظم الاجتماعية الإسلامية بالنظم المتوازنة السابقة:

- حرص الإسلام على أن تلتقي تشريعاته مع بعض النظم الاجتماعية المتوازنة التي كانت موجودة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.

أولاً: الأسس الاجتماعية التي وضعها الرسول ﷺ في المدينة المنورة:

1. المدينة المنورة بعد الهجرة:

- أصبحت معقل الإسلام ودار هجرة المسلمين.
 - كانت تعرف بمدينة النبي وبها قبر الرسول ﷺ.
2. أنواع السكان في المدينة المنورة:

- المهاجرون: الذين صحبوا النبي ﷺ من مكة.
 - الأنصار: سكان المدينة من الأوس والخزرج.
 - اليهود: الذين خرجوا تدريجياً من الجزيرة العربية.
3. النظام الذي وضعه الرسول ﷺ:

- كتب كتاباً للمهاجرين والأنصار.
 - عاهد اليهود في المدينة (بنو قريظة، بنو النضير، بنو قينقاع).
 - تضمن الكتاب عدة شروط، منها:
1. وحدة المسلمين: توحيد المهاجرين والأنصار وجعلهم أمة واحدة.
 2. التعاون والتضامن: بين أفراد المجتمع المسلم.
 3. حقوق الجماعة: تتضمن السهر على الأمن ومعاقبة المفسدين.
 4. المساواة مع اليهود: تكافؤ في المصلحة العامة وإتاحة الفرصة لليهود لدخول الإسلام.
 5. حرية الاعتقاد: لكل دين حرية في ممارسة شعائره.
 6. نفقات الحرب: كل جماعة تتحمل نفقاتها في حالة الحرب.
 7. حرمة المدينة: حرمة المدينة المنورة كحرمة مكة.
4. أهم ما أرساه الرسول ﷺ:

- وضع أول دستور سياسي واجتماعي في المدينة المنورة.
 - أرسى دعائم البناء الاجتماعي والمجتمع الإسلامي.
5. القواعد الاجتماعية التي أرستها الصحيفة:

- الأخوة الدينية: المؤمنون أخوة لا مجال للعنصرية.
- الأخوة الاجتماعية: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.
- الأخوة الإسلامية: كان المسلمون يتوارثون بعضهم البعض، ويفضل الأنصار المهاجرين عليهم.
- التكامل الاجتماعي: فرض الزكاة على الأغنياء لدعم التكافل الاجتماعي.

ثانياً: الزواج عند العرب:

1. نظام الزواج عند العرب:

- كان الزواج يتطلب موافقة أهل الفتاة.
 - كان المهر يختلف حسب الوضع الاجتماعي للقبيلة.
 - في بعض القبائل كان الزوجان لا يُستشاران في الزواج.
2. الزواج في الإسلام:

- أقر الإسلام الزواج كحق لكل من الرجل والمرأة.
- يتطلب الزواج القبول والإيجاب، دفع المهر، واستئذان ولي الأمر.
- يهدف إلى ضمان كرامة المرأة وعفافها.
- أهم خطوات الزواج في الإسلام تشمل الخطبة والإعلان.

3. واجبات الزوجين:

- الزوج: عليه واجب توفير الحياة الكريمة للأسرة والقيام على شئونها.
- المرأة: عليها توفير مناخ صالح للأسرة، العناية بالأبناء، والحفاظ على شرف الأسرة.

4. القوامة والإنفاق:

- الإسلام منح الرجل القوامة على الأسرة، وعليه الإنفاق على الأسرة وتوفير متطلباتها.
- القرآن يوضح أن الرجل مسؤول عن رعاية الأسرة، ويجب أن يتعاون مع زوجته في كل أمور الحياة.

5. مسؤولية الآباء:

- الإسلام حمل الآباء مسؤولية تربية الأبناء وفق القيم الإسلامية، دون تمييز بين البنين والبنات.

ثالثاً ورابعاً تعدد الزوجات والطلاق في الجاهلية والإسلام:

1. تعدد الزوجات:

- في الجاهلية، كان العرب يعددون الزوجات بدون حدود، وكان الهدف الأساسي هو الإنجاب خاصة من الذكور لتعزيز قوة القبيلة.
- الإسلام: أباح التعدد ولكن بشروط، أهمها العدل بين الزوجات والقدرة على الإنفاق. كما أكد الإسلام على الزواج من واحدة إذا كان الخوف من عدم العدل موجوداً.
- الإسلام نظر إلى التعدد كحل لمشكلات اجتماعية مثل مرض الزوجة أو عقمها. ليس التعدد تعدياً على حقوق المرأة، بل هو حل لمشاكل قد تحدث في الأسرة.
- هناك اختلاف بين العلماء حول التعدد، فبعضهم يرى أن الأصل هو التعدد باعتباره حاجة طبيعية، بينما يرى آخرون أن الأصل هو الزواج من واحدة.

2. الطلاق:

- في الجاهلية، كان الطلاق بيد الرجل فقط، وفي بعض الحالات كانت النساء يشترطن أن تكون الفرقة بيدهن.
- قبل الإسلام، كان الطلاق يتم بشكل تعسفي، مما كان يؤدي إلى إذلال المرأة. وكان الرجل يستطيع مراجعة زوجته في أي وقت وكمر مرة يشاء.
- الإسلام حرم بعض الممارسات مثل الظهار، التي كانت تضر المرأة، كما جاء في قوله تعالى: (الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُم مِّنْ نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ).
- الإسلام شرع الطلاق كحل لمشكلات لا يمكن حلها بين الزوجين، مع ضمان حفظ كرامة الرجل والمرأة، وأعطى للرجل حق الطلاق إلا إذا كانت العصمة بيد المرأة.
- في حالة الطلاق، أعطى الإسلام ضمانات للمرأة لحمايتها سواء في عقد الزواج أو في فسخ العقد.

خامساً حقوق المرأة في الإسلام:

موقف المرأة في الجاهلية:

- كانت المرأة في الجاهلية تُعامل معاملة دونية، حيث كانت تورث كالمَتاع ويحق للرجال اتخاذها كزوجة أو لغيرها بعد وفاة الزوج.
- كان الرجل يطلق زوجته في أي وقت يشاء ويسترجعها متى أراد، مما أثر سلباً على وضع المرأة.

تكريم الإسلام للمرأة:

- جاء الإسلام ليكرم المرأة ويضعها في مكانة محترمة، حيث تم ذكر النساء في القرآن الكريم في عدة سور، مثل سورة النساء، وسورة البقرة، وسورة التحريم.
- الإسلام أعطى المرأة حقوقها كاملة، واعتبرها شريكة للرجل في بناء الأسرة والمجتمع.

حقوق المرأة في الزواج والميراث:

- حدد الإسلام للمرأة مهراً، وألغى عادة توريثها كالمتاع، مما حفظ لها كرامتها.
- المرأة هي الزوجة، والأخت، والابنة، والعمة، والخالة، وهي أساس في بناء الأسرة والمجتمع.
- الرسول صلى الله عليه وسلم أكد على تكريم الأم في حديثه: "أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ثُمَّ أَبُوكَ."

دور المرأة في الجهاد:

- النساء شاركن في الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث كن يسيقين الماء، ويعالجون الجرحى، ويشاركن في مهمات أخرى.

حقوق المرأة المالية:

- للمرأة حقها الكامل في التصرف في أموالها، ولها الأهلية الكاملة في ممارسة البيع والشراء وعقد العقود.
- في الشهادة، يعتبر شهادة امرأتين مساوية لشهادة رجل واحد.

سادساً المسؤولية الفردية:

- الإسلام يساوي بين الرجل والمرأة في تحمل المسؤولية الفردية، حيث يتعين على كل منهما احترام نفسه وعقله والعمل بما يرضي الله.
- من خلال الآية الكريمة: "إِنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مَّنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْتَى" يبين الإسلام أن المسؤولية مشتركة بين الرجل والمرأة.
- يُطلب من المرأة أن تتعلم كما يُطلب من الرجل، وكان النساء في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعلمن ويتفقهن في الدين.

دور المرأة في المجتمع:

- على المرأة أن تساهم في تطوير المجتمع من خلال تعلمها في مختلف المجالات مثل التعليم والطب والعمل الاجتماعي.
- المجتمعات الإسلامية بحاجة إلى المعلمات، الطبيبات، والزوجات المتعلمات لتربية الأطفال على الأسس الإسلامية.

سابعاً وأد البنات في الجاهلية:

- كانت عادة سائدة عند بعض العرب بسبب عدة أسباب، منها الخوف من الفقر أو العار أو الاعتقاد أن الإناث من خلق الشيطان.
- كان بعض الرجال يفضلون قتل بناتهم عند ولادتهن.
- الإسلام حرم هذه العادة، وأكد على حرمة قتل الأولاد في قوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ ...).
- الإسلام أعطى حقوق المرأة كاملة وأمر بتعليمها واحترامها وصون كرامتها في الزواج والميراث.
- المرأة في الإسلام مصانة كأحد أعمدة الأسرة والمجتمع.

ثامناً نظام الثأر في الجاهلية:

كانت عادة الثأر سائدة في بعض المجتمعات العربية الجاهلية، وكان يتم قتل من يظن أنهم السبب في مقتل أحد الأقارب.

- كان الثأر يُعتبر وسيلة لرد الاعتبار وإظهار الشجاعة.
- كانت هذه العادة تستمر حتى في حالة عدم وجود مبرر قوي، وكان الرجال يُحرّمون على أنفسهم التمتع بالمباهج حتى يحققوا الثأر.
- الإسلام قضى على هذه العادة، وأحل القصاص وحدد الدية كبديل.
- الدعوة الإسلامية عززت عقلانية التعامل مع قضايا الثأر والتشدد ضدها، وأصبح التعلم والنصح الاجتماعي يساعد في التخلص منها.
- الإسلام أنشأ نظاماً اجتماعياً متناسقاً ورفض العادات التي تتعارض مع الشريعة الإسلامية.

الفصل الثامن

النظام المالي

● أسس النظام المالي في الدولة الإسلامية:

- تم وضع أسس النظام المالي في عصر النبوة.
- يركز النظام المالي على تحقيق التوازن بين موارد الدولة و نفقاتها.
- بيت المال هو الجهة المسؤولة عن حفظ مال المسلمين وصيانته، وكان يُعتبر بمثابة وزارة المالية أو وزارة الخزانة في العصر الحديث.
- صاحب بيت المال كان يشغل منصب وزير المالية أو وزير الخزانة في الوقت الحالي.

أولاً: النظام المالي في عهد النبوة والخلافة الراشدة

● بداية النظام المالي في الدولة الإسلامية:

- بدأ النظام المالي مع بداية الدولة الإسلامية في المدينة المنورة.
- الإسلام أذاب الفوارق بين طبقات الأمة، ووجه ثروة المسلمين لخدمة الأمة ولصالح الدولة الإسلامية الجديدة.
- مصادر التمويل في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم):

- كان النظام المالي في عهد الرسول يعتمد على:
 - تحصيل الزكاة من المسلمين.
 - الفئ والغنيمة من البلاد والقرى والأقاليم المفتوحة.
 - الجزية من أهل الذمة (اليهود والنصارى) باعتبارهم من رعايا الدولة.
- التطور في عهد الخلفاء الراشدين:

- في عهد الخلفاء الراشدين، اتسعت رقعة الدولة الإسلامية بعد الفتوحات.
- المسلمون فتحوا الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية البيزنطية.
- بعد النصر وضم الأراضي المفتوحة، تم جبي الخراج من الأقاليم المفتوحة، مما أدى إلى زيادة دخل الدولة.
- الخراج أصبح مصدراً جديداً للتمويل، مما استدعى ضبط وتنظيم جديد يتمشى مع التطورات في الدولة الإسلامية.

ثانياً: النظام المالي في عهد الأمويين

● اهتمام الأمويين بالنظام المالي:

- بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية في عهد الأمويين بسبب الفتوحات، من حدود الصين شرقاً إلى المغرب والأندلس غرباً، ومن آسيا الوسطى شمالاً إلى أواسط أفريقيا جنوباً، زادت واردات الدولة المالية.
 - في المقابل، زادت نفقات الدولة نتيجة لحركة الاتساع القصوى التي وصلت إليها الدولة في ذلك العصر.
 - **الخراج في الدولة الأموية:**
 - كان الخراج هو المصدر الرئيسي للتمويل، وكان يجبي من أقاليم وولايات الدولة الإسلامية وأمصارها.
 - عمل الأمويون على تنمية موارد الدولة من خلال هذا الخراج.
 - الخليفة معاوية بن أبي سفيان (41-60 هـ / 661-679م) جعل للخراج ولاية وداراً خاصة لضمان وصوله إلى العاصمة الأموية في دمشق.
 - **اهتمام الأمويين بالجند والأسطول:**
 - اهتم الأمويون بمرتبات وأرزاق الجند.
 - اهتموا أيضاً بـ الأسطول الإسلامي وقواعده، مما أدى إلى زيادة النفقات المالية.
 - هذه الزيادة في النفقات تطلبت زيادة الإيرادات من الأقاليم والولايات الإسلامية في المشرق والمغرب.
 - **انقلاب في النظام المالي في عهد عبد الملك بن مروان:**
 - في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86 هـ / 684-705م)، تم تعريب الدواوين وتعريب العملة بين (74-76 هـ / 693-695م).
 - ظهر العملة الإسلامية الجديدة، مما أدى إلى استقلال مالي وإداري واقتصادي للدولة الإسلامية بعد اعتمادها على الدينار البيزنطي والدرهم الفارسي سابقاً.
 - **دور ضرب العملة:**
 - بعد ظهور العملة الإسلامية الجديدة، تم إنشاء دور لسك النقود في دمشق، عاصمة الدولة، لضبط وزن وعتار النقود.
 - كما تم إنشاء بعض دور الضرب في العراق ومصر وغيرها من الولايات التابعة للدولة الإسلامية.
- ثالثاً : النظام المالي في عهد العباسيين**
- ورث العباسيون من الأمويين دولة مترامية الأطراف تضم العديد من الأقاليم والولايات في المشرق والمغرب الإسلامي. هذا الأمر استدعى الحاجة إلى تنظيم الجباية وجمع الخراج من الأراضي، بالإضافة إلى تحصيل الجزية من أهل الذمة، خاصة من اليهود والمسيحيين. كان النظام المالي في العصر العباسي يتطلب أموالاً ضخمة لتغطية النفقات الكثيرة ولإرساء أسس الدولة العباسية الجديدة.
 - **الخليفة العباسي المنصور (١٣٦-١٥٨ هـ / ٧٥٣-٧٧٤م)** كان حريصاً على زيادة موارد الدولة وتنميتها دون ظلم أو جور على الرعية. هذا التوجه كان هدفه تلبية احتياجات الدولة الكبيرة من الأموال لمواجهة نفقاتها المختلفة.
 - **في عهد الخليفة محمد المهدي (١٥٨-١٦٩ هـ / ٧٧٤-٧٨٥م)**، استمر التركيز على الإصلاحات المالية والاقتصادية والاجتماعية، وكان المهدي معروفاً بكريم عطائه وسخائه، لكن بعض المؤرخين أشاروا إلى أن النفقات في عهده زادت بشكل كبير، مما دفع البعض إلى اتهامه بالإسراف في أموال الدولة.
 - **أما في عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٨م)**، فقد عاد النظام المالي إلى التوازن الذي كان عليه في عهود الخلفاء الراشدين. كان هارون الرشيد قد كلف القاضي **أبا يوسف** (توفي سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٧م) بتصنيف "كتاب الخراج"، حيث وضع فيه الأسس التي ينبغي اتباعها في جمع الأموال وإنفاقها بما يتوافق مع الشريعة، مع ضمان عدم ظلم الرعية والاهتمام بمصالحهم.

رابعاً: موارد بيت المال في الدولة الإسلامية

المال العام في النظام المالي الإسلامي كان يتنوع بين عدة مصادر يتم جمعها لصالح الدولة الإسلامية، مثل الزكاة، الجزية، الخراج، العشور، الفئ، والغنائم. هيا نشرح كل واحد منهم بشكل مبسط:

1. الزكاة:

- هي فريضة إسلامية مفروضة على المسلمين الأغنياء لتطهير أموالهم ومساعدة الفقراء.
- تشمل عدة أنواع:
- **زكاة المال:** يدفع المسلم 2.5% من أمواله إذا بلغت النصاب وحال عليها الحال.
- **زكاة السوائم:** تخص الحيوانات مثل الإبل والبقر والغنم.
- **زكاة الزروع والثمار:** تكون 10% إذا كانت الأرض تروي بالراحة أو 5% إذا كانت تستخدم الآلات في الري.
- **زكاة المعادن والركاز:** تدفع على المعادن المدفونة أو الكنوز.

2. الجزية:

- هي ضريبة يدفعها غير المسلمين (أهل الذمة) مقابل الحماية والإعفاء من الخدمة العسكرية.
- تستثنى منها الفئات مثل الفقراء، النساء، الأطفال، وكبار السن.
- كانت الجزية تختلف حسب القدرة المالية: 48 درهماً للأغنياء، 24 درهماً للمتوسطين، و12 درهماً للمحتاجين.

3. الخراج:

- هو ضريبة تفرض على الأرض الزراعية التي تفتحها الدولة الإسلامية، وتحدد بناءً على نوع الأرض، المساحة، وجود المياه، والمحاصيل.
- كان يتغير حسب الظروف الاقتصادية وتطورات الزراعة.

4. العشور:

- عبارة عن رسوم جمركية فرضت على التجارة، خاصة بين المسلمين وغيرهم من أهل الذمة وأعداء المسلمين.
- كان التاجر المسلم يدفع 2.5%، وأهل الذمة 5%، وأعداء المسلمين 10%.

5. الفئ:

- هو المال الذي يصل إلى المسلمين من المشركين بدون قتال، ويشمل الأراضي والأموال التي كانت ملكاً للمشركين قبل فتح المسلمين لها.
- يتم تقسيمه وفقاً لأحكام القرآن ويشمل: "الله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل".

6. الغنيمة:

- هي المال الذي يحصل عليه المسلمون من المشركين عبر الحرب والقتال.
- يشمل الأسرى، النساء والأطفال (السبي)، الأراضي، الأموال، المعادن، والملابس والأسلحة التي يستخدمها الأعداء.

الهدف من هذه الموارد كان تأمين الإيرادات اللازمة لتمويل الدولة الإسلامية وضمان عدالة توزيع الثروات بين مختلف طبقات المجتمع.

خامساً: مصاريف بيت المال

مصاريف بيت المال في الدولة الإسلامية كانت متنوعة ومتعددة، وكل وجه من أوجه الإنفاق كان له أهمية خاصة في الحفاظ على استقرار الدولة وتوسيع حدودها. ومن أبرز أوجه الإنفاق كانت:

1. **أمر الجهاد:** كان الإنفاق على الجهاد هو الأهم في عصور الخلفاء الراشدين، واستمر كذلك في العصور الإسلامية المختلفة، حيث تم تخصيص أموال ضخمة لإعداد الجيوش وتجهيزهم للمعارك.
 2. **العطاء أو الراتب:** كان العطاء أو الراتب يشكل جزءاً كبيراً من نفقات الدولة، وكان يشمل الرواتب المخصصة للجنود والمواطنين وأيضاً أسرهم. وقد اهتمت الدولة بتأمين دخل ثابت للجنود ليشتعروا بالأمان.
 3. **إعداد الجيوش:** أنفق الخلفاء على تجهيز الجيوش بمختلف أنواع الأسلحة والآلات الحربية، وكان هذا يمثل عبئاً كبيراً على ميزانية الدولة، وكان ضرورياً لدعم قوة الجيوش الإسلامية.
 4. **إقامة المدن الإسلامية الجديدة:** تم بناء مدن جديدة مثل البصرة والكوفة في العراق، والفسطاط في مصر، وغيرها من المدن في الأقاليم المفتوحة، وكان الهدف منها إنشاء مستوطنات عسكرية للجنود.
 5. **مرتبات الموظفين:** كان هناك نفقات خاصة لمرتبات الموظفين الحكوميين، مثل القضاة والوزراء والولاة، وكانوا يتلقون مرتبات منتظمة من بيت المال.
 6. **الإصلاحات العامة:** كانت الدولة تهتم بالقيام بإصلاحات في مجالات مثل الري، وحفر الخلجان والمساقى، وإقامة الجسور.
 7. **بناء المرافق العامة:** تم تخصيص أموال لبناء المساجد، والزوايا، والمستشفيات، والبيمارستانات، بالإضافة إلى بناء الحصون والقلاع.
 8. **الاعتناء بالأسطول الإسلامي:** اهتمت الدولة ببناء القواعد البحرية والصناعات المتعلقة بالأسطول، مثل صناعة السفن التي كانت تستخدم في الدفاع عن السواحل الإسلامية.
 9. **نفقات السجون:** كان بيت المال يخصص جزءاً من موازنته لرعاية السجون والمسجونين، وتوفير احتياجاتهم من مأكل وملبس.
 10. **إنشاء المصانع:** اهتمت الدولة بإنشاء مصانع الملابس والمنسوجات التي كانت تلزم الدولة لتزويد الجيش والأمراء وكبار رجال الدولة.
 11. **نفقات الهدايا والمنح:** كانت هناك نفقات خاصة للهدايا والمنح التي كانت تعطى لبعض الشعراء والأدباء والولاة، وكان ذلك جزءاً من سياسة تقدير العلماء والمفكرين.
 12. **نفقات شق الطرق والمسالك:** تم تخصيص أموال لشق الطرق وإقامة المسالك وكذلك بناء الأسبلة ودور الضيافة وقصور الخلفاء.
- جميع هذه المصاريف كانت تهدف إلى تعزيز استقرار الدولة الإسلامية، وتطويرها على جميع الأصعدة سواء العسكرية أو الاقتصادية أو الاجتماعية.

الفصل التاسع

العمارة الإسلامية (دراسة حول بعض المساجد الإسلامية)

أولاً: جامع عمرو بن العاص:

جامع عمرو بن العاص مش مجرد مكان للعبادة، لكن ليه مكانة كبيرة في التاريخ الإسلامي بمصر. المسجد ده مش بس أول مسجد اتأسس في مصر، لكن كمان في قارة أفريقيا بعد الفتح الإسلامي. اتأسس في شتاء سنة ٢١ هـ / ٦٤١م بواسطة عمرو بن العاص في ميدان عمرو بن العاص بمصر القديمة.

تأسيس جامع عمرو بن العاص:

بعد ما رجع عمرو بن العاص من الإسكندرية، أمر ببناء الفسطاط، ونزل في المكان اللي كان بيقيم فيه وقت فتح مصر. بجوار دار الإمارة، أسس أول مسجد في مصر، وهو جامع عمرو بن العاص. وكان المسجد في البداية قريب جدًا من نهر النيل، وكان في المسجد مجموعة من الصحابة اللي ساعدوا في تحديد اتجاه القبلة. ابن دقماق وصفه بشكل جميل لما قال: "إمام المساجد، ومقدم المعابد، قطب سماء الجوامع ومطلع الأنوار اللوامع، موطن أولياء الله وحزبه."

تسمية الجامع:

الجامع تم تسميته بعدة أسماء شهيرة:

1. **جامع الفتح:** عشان كان أول مسجد يتأسس بعد الفتح الإسلامي لمصر.
2. **تاج الجوامع:** إشارة لجماله وأهميته في الفترة دي.
3. **الجامع العتيق:** كان ليه مكانة خاصة في قلوب المسلمين في الماضي، وكان يجتمع فيه العلماء وكمات القاضي كان بيحكم فيه بين الناس.

مساحة المسجد وقت إنشائه:

وقت ما اتأسس المسجد، كان صغير ومبني بأسلوب بسيط، وكانت أبعاده حوالي ٢٥ متر في ١٧ متر. كان المسجد محاط بطريق من كل ناحية، ومكنش فيه صحن كبير زي المساجد الحديثة.

تخطيط الجامع:

الجامع في بدايته كان بسيط جدًا، مبني من أحجار خشنة، وكان سقفه منخفض ومغطى بجريد النخل والطين. الأعمدة كانت مصنوعة من جذوع النخل، وكانت فيه فتحات لدخول الضوء. وصحن المسجد كان مفروش بالحصى (الحصباء).

أ - جامع عمرو بن العاص في عهد الدولة الأموية:

في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، وفي سنة ٥٣هـ / ٦٧٢م، أمر والي مصر مسلمة بن مخلد بتوسعة المسجد في الاتجاهات الشمالية الشرقية والشمالية الغربية، وقام بتغطية جدرانه بالجص (الجبس)، كما فرش أرضه بالحصر بدلاً من الحصى.

مأذنة المسجد: لم يكن هناك مأذنة في البداية، ولكن الخليفة معاوية بن أبي سفيان أمر بإنشاء المآذن لأول مرة في المسجد، فبنى مسلمة أربع مآذن عند أركان المسجد الأربعة، وكانت هذه أول إشارة لبناء المآذن واستخدامها للأذان.

سلم المسجد: كان السلم الذي يصعد عليه المؤذنون في البداية خارج المسجد، ثم تم نقله إلى داخل المسجد لاحقًا.

قبلة المسجد: عندما أسس عمرو بن العاص المسجد، أمر بمد الحبال لتحديد القبلة، وكان نحو ثمانين من الصحابة يشرفون على تحديد جهة القبلة. كان عمرو بن العاص يقول "شرقوا القبلة حتى تصيبوا الحرم"، وكان بعض المؤذنين مثل قرّة بن شريك يتجهون قليلاً إلى اليمين عند الصلاة.

أبواب المسجد: كان للجامع ستة أبواب، اثنان في الجهة البحرية، واثنان في الجهة الغربية، واثنان يقابلان دار عمرو بن العاص في الفسطاط. أما جهة القبلة فلم تكن بها أبواب.

منبر المسجد: في بداية الأمر، كان عمرو بن العاص قد وضع منبرًا في المسجد، لكن الخليفة عمر بن الخطاب أرسل إليه يوبخه ويطلب منه إزالته، فقام عمرو بن العاص بكسره. بعد وفاة عمر بن الخطاب، تم إعادة بناء المنبر وتجديده.

ب - جامع عمرو بن العاص في عصر الدولة العباسية:

في فترة الدولة العباسية، وتحديداً في سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م، أمر الخليفة العباسي المأمون بتوسعة كبيرة للمسجد، حيث تم إضافة مساحة كبيرة في الجهة الشمالية الغربية. كانت التوسعة تشمل أيضاً إضافة أبواب جديدة، ليصبح عدد أبواب المسجد 13 باباً، منها 5 أبواب في الجهة الشمالية الشرقية، وأبواب في الجهة الشمالية الغربية والجنوبية الغربية، بالإضافة إلى باب واحد في الجهة القبلي.

مكونات المسجد في هذا العصر: تم إضافة ٣٧٨ عموداً في المسجد، مما ساهم في توسيع المساحة وتحسين هيكل المسجد.

ج - جامع عمرو بن العاص في عصر الدولة الفاطمية:

في عصر الدولة الفاطمية، كان جامع عمرو بن العاص محاطاً بالأسواق من جميع جهاته. في ليالي المواسم، كان المسجد يضاء بأكثر من ٧٠٠ قنديل، وكان مفروشاً بعشر طبقات من الحشيش الملون.

دور الجامع في العصر الفاطمي: كان المسجد مقراً لاجتماعات سكان المدينة (القاهرة)، وكان لا يقل عن خمسة آلاف طالب علم يدرسون فيه. كما كان مكاناً لكتابة العقود والصكوك.

في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي: في سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م، أمر الخليفة الحاكم بأمر الله بطلاء المسجد باللون الأبيض، وأزيلت كمية كبيرة من الفسيفساء. كما قام في سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٦ م بعمل توسعة للمسجد، حيث أضاف رواقين ليصبح عدد الأروقة ٧ في المقدمة و ٧ في النهاية و ٥ في الشمال الشرقي والشمالي الغربي.

الزخارف القرآنية: في هذا العصر، تم كتابة ألواح من القرآن الكريم على جدران المسجد باستخدام الرخام الأبيض والخط الكوفي، وتم تركيبها على حيطان المسجد من أعلاها إلى أسفلها، وكان السور مكتوباً بالذهب واللازورد.

الختام: على الرغم من أن جامع عمرو بن العاص بدأ كمكان بسيط للعبادة، إلا أنه شهد العديد من التوسعات والتجديدات في مختلف العصور الإسلامية حتى وصل إلى شكله الحالي، ليظل شاهداً على تطور العمارة الإسلامية في مصر.

جامع عمرو بن العاص كان له مكانة كبيرة في تاريخ مصر الإسلامية. هو مش بس كان مكان للصلاة، لكن كان مركز ديني، سياسي، وعلمي كمان.

من الناحية الدينية:

كان الجامع من أهم الأماكن التي يقيم فيها إقامة الشعائر الدينية، زي الصلوات والقيام بالدعاء للسقيا والمطر وقت الأزمات. كمان كان له دور في تجميع المسلمين والمسيحيين واليهود على السواء.

من الناحية السياسية:

مش بس كان مكان للصلاة، لكنه كان مركز للحركة السياسية في مصر. كان يُتخذ فيه قرارات الحكم وتنفيذ الشؤون المتعلقة بالولاية في مصر الإسلامية.

من الناحية العلمية:

الجامع كان مركز علمي كبير، حيث كان يُعقد فيه حلقات للدروس الدينية والفقهية والحديث وعلوم القرآن، بالإضافة إلى الأدب. كان يعتبر مركز علمي ضخم، وده كان السبب في جذب العلماء البارزين، زي الإمام الشافعي اللي ألقى دروسه فيه. الجامع كان مليء بالحلقات الدراسية، ووصلت في فترة معينة لـ ١١٠ حلقة علمية.

من الناحية القضائية:

كان الجامع مكان للمحاكمات والفض نزاعات الناس، سواء كانت دينية أو مدنية. القاضي كان يقعد في الجامع لفض الخصومات بين الناس.

الاحتفال بالصلاة في آخر جمعة من رمضان:

كان فيه تقليد قديم في عصر الدولة الفاطمية للاحتفال بالصلاة في آخر جمعة من رمضان. الخليفة الفاطمي كان يشارك في الاحتفالات دي ويؤدي الصلاة في جامع عمرو بن العاص بعد ما يمر بعدة مساجد أخرى في القاهرة.

وبعد الإصلاحات اللي قام بيها السلطان العثماني مراد بك في النصف الثاني من شهر رمضان ١٧٩٧م، أصبح الجامع مكان للاحتفال بذكرى وفاة عمرو بن العاص في الأسبوع الأخير من رمضان.

الجامع كان ليه مكانة عظيمة في كل مجالات الحياة الدينية، السياسية، والعلمية في مصر الإسلامية.

ثانياً : الجامع الأزهر:

1. بداية بنائه:

شرع جوهر الصقلي في بناء الجامع الأزهر بعد وضع خطط مدينة القاهرة المعزية في 24 جمادي الأولى سنة 359هـ / 969م، وتم افتتاحه للصلاة في رمضان سنة 361هـ / 971م. كتب على أحد قبابه "أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلي".

2. تاريخ الجامع:

يُعد الجامع الأزهر رابع المساجد الجامعة في مصر الإسلامية بعد جامع عمرو بن العاص (الذي بناه عمرو بن العاص سنة 21هـ / 641م)، جامع العسكر (بناه العباسيون سنة 133هـ / 750م)، وجامع أحمد بن طولون (سنة 263هـ / 876م). وكان بناء الأزهر نتيجة لرغبة جوهر الصقلي في إقامة مسجد رسمي للدولة الفاطمية بعد أن هدد أهل السنة بثورة عليه بسبب إدخال بعض العبارات الشيعية في الأذان.

3. تحوله إلى جامعة:

تحول الأزهر إلى مركز علمي في عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله بن المعز لدين الله. في سنة 378هـ / 988م، قام وزيره يعقوب بن كلس بتعيين 35 فقيهاً لإلقاء الدروس في الجامع الأزهر. كما تم إنشاء "الأروقة" للطلبة القادمين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

4. تسميته:

سُمي الجامع الأزهر نسبة إلى فاطمة الزهراء، ابنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك تيمناً بها وبإظهار تعلق الفاطميين بالرسول

صلى الله عليه وسلم وآل بيته. هناك آراء أخرى تشير إلى أن التسمية قد تكون بسبب ازدهار المعارف والعلوم التي ستنمو في الجامع، ولكن المرجح هو انتسابه إلى فاطمة الزهراء.

(جزء من الفصل العاشر)

مدينة القاهرة:

1. تأسيس المدن الإسلامية:

بعد فتح المسلمين للبلاد، كان من الطبيعي أن يؤسسوا مدينة جديدة تكون قاعدة لملكهم ومقراً لحكمهم. في مصر، بدأ ذلك مع عمرو بن العاص الذي أسس مدينة الفسطاط عام 20 هـ / 641م، ثم صالح بن علي العباسي الذي أسس مدينة العسكر في 133 هـ / 751م، وأحمد بن طولون الذي أسس مدينة القطائع في 256 هـ / 870م.

2. فكرة تأسيس القاهرة:

عندما وصل جوهر الصقلي إلى مصر عام 358 هـ / 969م، بدأ في التفكير في تأسيس مدينة جديدة تناسب الدولة الفاطمية. كان له عدة أسباب وراء ذلك:

- قاعدة عسكرية: أراد أن تكون المدينة مركزاً للحكم الفاطمي، تحتوي على قصور الحكومة وثكنات الجنود.
- مدينة حربية: كانت تهدف لتكون مركزاً عسكرياً يُنزل فيه جنود القبائل التي جلبها الفاطميون.
- حصن ضد الأعداء: كانت القاهرة الجديدة معقلاً حصيناً ضد تهديدات القرامطة وبنو العباس والروم.
- مركز للدعوة الفاطمية: أراد أن تكون المدينة أيضاً مركزاً لنشر المذهب الشيعي الفاطمي.

3. موقع القاهرة:

بدأ بناء القاهرة في 17 شعبان سنة 358 هـ / 7 يوليو 969م في السهل الرملي شمال شرقي الفسطاط. كانت المدينة تبعد عن نهر النيل بحوالي ميل، ويحدها من الشرق جبل المقطم ومن الغرب قناة الخليج. وكان الموقع يتضمن مناطق مثل باب البرقية وباب السعادة، وكانت تطل على الفسطاط والعسكر والقطائع.

4. تسمية القاهرة:

أطلق جوهر الصقلي في البداية على المدينة اسم "المنصورية" تيمناً بمدينة المنصورية التي أسسها الخليفة المنصور خارج القيروان. ومع وصول الخليفة المعز لدين الله إلى مصر بعد أربع سنوات، تم تغيير الاسم إلى "القاهرة". وهناك تفسيرات مختلفة لتسمية المدينة:

- التفاضل بالانتصار: يقال أن المدينة سميت "القاهرة" تفاؤلاً بأنها ستقهر بني العباس.
- الطالع الفلكي: بعض الروايات تقول إن جوهر الصقلي استشار المنجمين واختاروا اسم "القاهرة" بناءً على طالع سعيد، حيث كان المريخ في الطالع وهو "قاهر الفلك".

تخطيط مدينة القاهرة:

1. تقسيم المدينة إلى حارات: القاهرة كانت مقسمة إلى حارات وأقسام سُميت بأسماء فرق الجيش الفاطمي وطوائفهم. كانت كل حارة تمثل مكاناً خاصاً للمجموعات المختلفة:

- حارة زويلة: كانت من أكبر الحارات وتقع في منطقة الخرنفش الحالية.
- حارة البرقية: كانت مخصصة لجنود برقة وتقع في منطقة الدراسة.
- حارتا الروم: كانت هناك حارتان للروم؛ إحداهما في الجنوب وتعرف بحارة الروم السفلى (الدرب الأحمر)، والأخرى في الشمال وتعرف بحارة الروم العليا (شارع الجمالية).
- حارة كتامة: كانت تقع في الجنوب الشرقي بالقرب من الأزهر.

كانت المدينة في بدايتها متواضعة، ولكنها نمت سريعاً لتصبح معقلاً للدولة الفاطمية، تضم قصور الخلفاء ودواوين الحكومة. وبمرور الوقت اتسعت القاهرة وارتبطت بالفسطاط، مما جعلها واحدة من أكبر وأعظم المدن الإسلامية.

2. القصور:

- **قصر المعز لدين الله الفاطمي (القصر الشرقي):**
بني هذا القصر ليكون مقراً للخليفة المعز لدين الله. بدأ بناءه في 18 شعبان سنة 358 هـ، وافتتح في سنة 362 هـ. كان القصر يحتوي على حوالي 4000 غرفة وكان يتضمن العديد من دواوين الحكومة. كان يحتوي على أنفاق سرية وأماكن مملوءة بالمياه للحماية من الحريق.
- **قصر الخليفة العزيز بالله الفاطمي (القصر الغربي):**
بني هذا القصر قبالة القصر الشرقي وكان أصغر منه، مما جعل الناس يطلقون عليه اسم "القصر الصغير". كان يقع بالقرب منه الميدان والبستان الكافوري، وكان بين القصرين فضاء مخصص لاستعراض الجند.

3. الأسوار:

بعد بناء القصر، قام جوهر الصقلي بإقامة سور كبير حول المدينة باستخدام الطوب اللبن، على شكل مربع. كان طول كل ضلع من السور حوالي 1200 ياردة، وامتدت المساحة المحصورة داخل السور إلى حوالي 340 فدناً. كان السور سميكاً بما يكفي للسير فوقه فارسين جنباً إلى جنب. واستغرق بناء المدينة حوالي عامين من سنة 358 هـ حتى سنة 360 هـ / 971م.

أحمد كرم

الفصل الحادي عشر

ملاح من الثقافة الإسلامية

الطواف حول الكعبة هو أحد أركان الحج الهامة، وله دلالات دينية وعلمية تبرز في الثقافة الإسلامية وتعد من أروع التأملات التي تتناولها الحضارة الإسلامية. يتم الطواف سبع مرات حول الكعبة، وهو عدد يحمل معاني روحية وعلمية عظيمة.

الدلالات الدينية للطواف:

1. **شهادة التوحيد:** عدد كلمات الشهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) سبعة.
2. **الصلاة:** تبدأ كل ركعة بسورة الفاتحة، وهي من سبع آيات، كما أن عدد ركعات صلاتي المغرب والعشاء سبع.
3. **مواضع السجود:** في الصلاة، هناك سبع مواضع للسجود في جسم الإنسان، وهي الجبهة، اليدين، الركبتين، والقدمان.
4. **التسبيح:** جاء ذكر فعل "يسبح" في القرآن الكريم سبع مرات، مما يعزز المفهوم الديني للطواف باعتباره تكراراً للتمجيد لله.
5. **خلق الإنسان:** القرآن ذكر أن الإنسان خلق من سبعة أطوار، ما يبرز الرابط بين خلق الإنسان والطواف كدورة دائمة حول الكعبة.

الدلالات العلمية:

1. **تركيب الإنسان:** يتكون جسم الإنسان من سبعة مكونات رئيسية مثل الذرة، الجزيء، الخلية، وغيرها.
2. **أطوار القمر:** القمر يمر عبر سبع مراحل، مما يضيف بُعداً علمياً للفهم العميق لمفهوم الطواف، إذ يعكس حركة دائمة في الكون.
3. **الدورة الأرضية:** كل ما في الكون من كواكب وأجرام يدور في مدارات مشابهة للطواف حول الكعبة، مما يربط الطواف بالقوانين الكونية.

هذه الدلالات تعكس كيف أن فريضة الحج والطواف حول الكعبة ليست مجرد شعيرة دينية بل هي نقطة تلاقي بين الإيمان والعلم، وتبرز كيفية تأثير هذه الطقوس على الفكر الإسلامي في محاولة لفهم أعمق للكون وإعجاز الخلق.

أحمد كرم